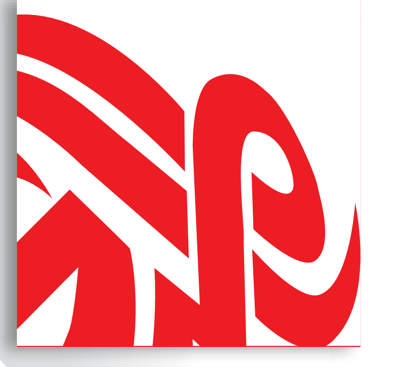


رئيس مجلس الادارة رئيس التحرير
فخري كريم
العدد (3667) السنة الثالثة عشرة - الخميس (9) حزيران 2016
WWW. almadasupplements.com

الشيخ محمد رضا المظفر

10-11
مع الشيخ المظفر في مذكراته ..





الشيخ المظفَّر... التجديد الفكري والاصلاح

حمزة الموسوي

ولد الشيخ محمّد رضا المظّفر، في مدينة النجف الأشرف في أوائل شهر شعبان من عام (١٣٢٢هـ-١٩٠٤م)، وترعرع في أحضان أسرة علمية برزت على الساحة الدينية منذ أواسط القرن الثاني عشر الهجري، عرفت باسم جدها الأعلى مظفر بن أحمد، توفي والده وهو في بطن أمه، فكفله الأخ الأكبر الشيخ عبد النبي المظفر مع أخويه الآخرين محمد حسن ومحمد حسين، الذي يعود الفضل إليه في تنشئتهم، والتي ظلت مضرب المثل بين الناس لفترة طويلة.

ولكن سرعان ما ينتقل هذا المربي المخلص إلى جوار ربه الكريم، تاركاً أخويه محمد رضا ومحمد حسين بكفالة الشيخ محمد حسن، الذي قام منهما مقام الأب والأستاذ في آن واحد، حيث كان الأستاذ الأوّل الذي واصل اهتمامه التعليمي بهما حتى آخر الشوط.

رحلة العلم

بدأ الشيخ المظفر حياته الدراسية سنة (١٣٣٥هـ/١٩١٦م)، وهو ابن اثني عشر عاماً، حيث أخذ مقدمات العلوم من أخيه الشيخ محمد حسن المظفّر والشيخ محمد طه الحويزي، ثم واصل الدراسة في المراحل العليا على يد أخيه الشيخ محمد حسن والمحقق الشيخ ضياء الدين العراقي والشيخ حسين النائيني والشيخ محمد حسين الأصفهاني، حتى بلغ درجة الاجتهاد وحصل على إجازات في ذلك من أخيه الشيخ محمد حسن وأستاذه الشيخ محمد حسين الأصفهاني والمرجع الديني السيد عبد الهادي الشيرازي.

وإلى جانب الفقه والأصول، ولع الشيخ المظفّر بدراسة الرياضيات والفلك والعروض والفلسفة، وكان من مدرّسي أسفار الملا صدرا الفلسفية المعروفين، كما ألّف كتاباً في العروض في سنة (١٣٤٣هـ-١٩٢٤م).

ويبدي الأستاذ جعفر الخليلي إعجابه بالشيخ مظفّر، حيث يقول: "إنه كان أحد بضعة أنفار ممن لفتوا أنظار الآخرين من أوساط الحوزة إليهم بجدّهم وانغماسهم في الدروس".

التجديد الفكريّ

في منتصف العشرينات من هذا القرن، انتهت الجولة السياسية الأولى من المعركة بين التغريب والإسلام في العراق وأكثر بلدان العالم الإسلامي الأخرى لصالح الاستعمار الذي فرض نفسه على الأمّة بحكم الامتيازات المادية والسياسية والعلمية التي كانت بحوزته من جهة، وعوامل التخلّف التي يعيشها العالم الإسلامي من جهة أخرى، الأمر الذي نبّه القيادة الإسلامية في النجف الأشرف إلى عدم جدوى الاستمرار في المراهنة على العامل السياسي، وإلى ضرورة تجديد بناء القواعد التحتية للمجتمع الإسلامي، وإيجاد صياغة عصرية للفكر الإسلامي تتيح له الارتقاء إلى مستوى التحديات الحضارية الكبرى التي يفرضها الغرب على الإسلام في المرحلة الجديدة، وكان معنى ذلك تغليب مهامّ التجديد الفكري على المهام السياسية ريثما يكتمل بناء القواعد التحتية الجديدة للمجتمع الإسلامي المعاصر.

ولذلك، أصدرت المرجعيّة الدينيّة في النجف الأشرف فتاوى بتحريم الدخول في المدارس الحديثة التي أنشأها المستعمر، وسعت إلى جانب ذلك إلى افتتاح مدارس مستقلة تخضع للتأثير الديني. وعلى صعيد الدراسة الحوزوية أسّس السيد عبد الحسين شرف الدين مدارس حوزوية في لبنان إلى جانب المدارس التي كان يشرف عليها، كما قام السيد محسن الأمين العاملي في سوريا بتجربة مماثلة، وفي إيران تبنّى الشيخ عباس علي الإسلامي فكرة تنظيم الدراسة الحوزوية في صفوف ومدارس مبرمجة. وفي العراق، يعتبر الشيخ محمد رضا المظفر رائد تجربة التحديث والتنظيم والبرمجة للدراسة الحوزوية.

من هنا، كانت الفترة الواقعة من منتصف العشرينات وحتى منتصف الستينات، تمثّل مرحلةً غلبة الفكر على السياسة في أعمال المرجعية والحوزة العلمية للنجف الأشرف، وهي المرحلة التي بدأها المرجعان الكبيران آية الله السيد أبو الحسن الأصفهاني وآية الله الشيخ النائيني بعد عودتهما من إيران إلى العراق، والتي ضمت النشاطات الفكرية الواسعة للشيخ محمد البلاغي، والسيد هبة الدين الشهرستاني، والشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء، والشيخ آغا بزرك الطهراني، والشيخ عبد الكريم الزنجاني، والسيد محسن الأمين العاملي، وأخيراً الإمام الشهيد محمد باقر الصدر.

وقد كان للعلامة الشيخ محمد رضا المظفّر دورٌ مهمّ، حيث قرن فكرة التجديد بحركته الإسلامية الرائدة التي أطلقها في مجال تجديد وتطوير المناهج التدريسية للحوزة العلمية، ولولا هذه الحركة، وما كان الشيخ المظفّر قد عقد العزم عليه من تغليب هموم التجديد والإصلاح على ما سواها، لكان قد بلغ المرجعية العليا.

ولذلك نجد أن الشيخ المظفّر قد سعى إلى القيام بحركة إصلاحية تجديدية، وبخطوات واثقة ترجمها بمشروع عملي.

قصة الإصلاح

كان الشيخ المظفّر-كما يقول الأديب جعفر الخليلي-أوّل "من التفت إلى وجوب إيجاد حركة تجديدية في طريقة البحث والاستقراء والاستقصاء عن طريق التأليف والمبادرة إلى إحياء المؤلفات الخطية ونشرها والتعليق عليها بقالب يتماشى مع العصر، وقد سرّه أن وجد له مؤيّدين، وكان معظمهم أكبر منه سناً، وأقدم عهداً بالدرس، كالشيخ عبد الحسين الحلّي، والسيد علي بحر العلوم، والشيخ محمد جواد الحجامي، وأخيه الشيخ محمد حسين المظفر".

ويتحدّث الشيخ المظفر عن المنطلقات والأهداف التي كانت تحرّكه، فيقول في سياق انتقاده لحالة الجمود الفكريّ في نص أورده الشيخ محمّد مهدي الآصفي، في كتابه "مدرسة النجف وتطور الحركة الإصلاحية فيها": "وهذا هو التفكير الذي يبدو ظاهراً على بعض رجالنا، الذين كانوا يحلمون بإصلاح نواقص الدراسة العلمية في معاهد النجف الأشرف، فإن هذه النواقص، كفقدان نظم التربية والتدريس في الامتحانات والمواد العلمية والأوقات والشهادات، كانت تهدد المفكرين منّا بشلل الحركة العلمية في مستقبل الجامعة القريب أو البعيد، يوم اصطدمت سفينة هذه الجامعة القديمة بتيار العصر الجديد، فهزّتها في بحر متلاطم بالميول...".

كان الشيخ المظفّر منَ القلائل الذين رعوا فكرة الإصلاح ونذر لها حياتها، حيث الشباب الواعي كان ابتداءً من عام ١٣٤٣هـ/ ١٩٢٤م، يعقدون جلسات خاصة وجمعيات سرية للتفكير في شؤون الإصلاح وسبله، وينتظرون الفرصة المناسبة للظهور، وظلوا على هذه الحالة حتى سنة ١٣٤٩هـ/١٩٣٠م، عندما هوجمت النجف بعدد من الكتب الدعائية، وطالب الرأي العام بضرورة الردّ، فاتخذ بعض المصلحين هذه الحادثة فرصةً مناسبةً، لتأسيس "جمعية النشر والتأليف"، وقاموا بانتخاب هيئة عامة من سبعة أشخاص، وهيئة عليا من ثلاثة مجتهدين، وهي-أي هيئة المجتهدين-التي اقترحت فيما بعد على الشيخ البلاغي تأليف تفسير مختصر للقرآن الكريم، ليكون باكورة أعمالها، وقد استجاب الشيخ لطلبهم فعلاً، وكتب تفسير "آلاء الرحمن"، فخرج منه جزءان، إلا أنّ المنيّة عاجلته قبل إتمامه.

وبذلك شقّت الفكرة الإصلاحية طريقها، فعمل القيّمون على بلورة أفكارها وطروحاتها، حيث عمدت إلى القيام بتنظيم الدراسة وإصلاح المناهج الدراسية اعتباراً من عام ١٣٥٢هـ/١٩٣٣، في ما أطلق عليه يومذاك "حركة الكلية"، والتي يبدو أنها كانت تعبيراً عن انتشار فكرة تأسيس كلية العلوم الإسلامية، وقد أحدثت هذه الحركة صوتاً مدويّاً في الأوساط العلمية والاجتماعية بين مؤيد ومعارض، وقد بلغ عدد الموقّعين على ورقة شروط العمل-كما يروي الشيخ المظفر-مائتي عالم، ولم يثبت منهم في وجه العاصفة التي أثيرت ضد هذه المؤسسة الإصلاحية إلاّ عدد قليل جداً.

ولما كان من أهّم أهداف الحركة التجديدية التي سعى إليها الشيخ المظفري ومؤيدوه، "تعميم الثقافة الإسلامية والعلمية، والإصلاح الاجتماعي، بواسطة النشر والتأليف والتعليم، وغير ذلك من الطرق المشروعة"، قدّم مع ثلّة من العلماء في عام ١٣٥٤هـ/١٩٣٥م بياناً إلى وزارة الداخلية، يطلبون فيه الترخيص بتأسيس جمعية باسم "منتدى النشر"، وبعد جهود مضنية، حصل العاملون على إجازة من الوزارة، وأعلن عن تأسيس المنتدى، وانتخب الشيخ محمد جواد الحجامي رئيساً له والشيخ المظفر سكرتيراً.

وفي العام التالي، وضع الشيخ المظفّر خطّةً لتأسيس "كلية الاجتهاد" لتدريس الفقه الاستدلالي والأصول والتفسير والفلسفة، وفي عام ١٣٥٦هـ/ ١٩٣٧م، تولّى الشيخ المظفر رئاسة المنتدى، وتكرر انتخابه لها إلى آخر حياته. وفي العام التالي، تمّ تأسيس صف لدراسة العلوم العربية والمنطق والفقه، استمر إلى آخر السنة، وكان تجربة ناجحة، شجّعت العاملين في المنتدى على فتح صفوف في السنة الدراسية اللاحقة، ونجح هذا المشروع-هو الآخر-نجاحاً باهراً، وبلغ عدد طلابه "١٥٠" طالباً، كما اعترفت وزارة المعارف العراقية بتلك الصفوف الدراسية.

ففي عام (١٣٦٤هـ-١٩٤٤م)، قام بفتح أربعة صفوف دراسية، اعتبرت قسماً متوسطاً للدراسة الدينية، مع صف تحضيري قبلها، وثلاثة صفوف أخرى بعدها، اعتبرت بمثابة كلية للفقه. وواصل الشيخ المظفّر جهاده الإصلاحي وخطواته التحديثية، متعقّباً عوامل التخلّف حيثما تكون.

ولم يقتصر التجديد على مناهج الدراسة، بل اتّسع ليشمل وسائل التبليغ الإسلامي والتوجيه الاجتماعي، وذلك بهدف تحقيق المتطلّبات الجديدة للدين والمجتمع، وهو ما صرح به في عام ٣٦٣هـ/ ١٩٤٣م، في التقرير السنوي الذي رفعه إلى الهيئة العامة، من خلال طرحه فكرة تأسيس كلية للوعظ والإرشاد تأخذ على عاتقها تنفيذ هذه المهمّة، ولأجل هذا الغرض، تألّفت لجنة في العام نفسه برئاسة الخطيب الشهير الشيخ محمد علي قسّام، وقد باشرت هذه اللجنة أعمالها بالفعل، وذلك بفتح صف تجريبي لتدريس الفقه والعربية والدراية والعقيدة.

ولكن معارضي هذه الفكرة اتهموا الشيخ المظّفر بأنه يريد القضاء على الخطابة الحسينية، ما أثر سلباً على حركته، وأدى في نهاية المطاف إلى إلغاء اللجنة المذكورة، واستقالة الشيخ محمد الشريعة-نجل المرجع الديني شيخ الشريعة الأصفهاني-من سكرتارية المنتدى، وكادت الموجة المقابلة أن تطيح بالمنتدى، لولا صبر الشيخ المظفر وثباته، ولكنه اعتزل المجتمع إثر ذلك فترةً قليلة، ثم عاد إليه بإيمان أقوى، وعزم أشدّ على مواصلة الإصلاح.

وبعد إخفاق الخطّ الثاني لحركته الإصلاحية المتمثّل بإصلاح المنبر الحسيني، رجع إلى التأكيد على الخط الأوّل الذي انطلق منه، وهو المناهج الدراسية، ففي عام ١٣٧٦هـ/١٩٥٦م وبعد جهود كبيرة، أسّس الشيخ المظفّر "كليّة الفقه" في النجف الأشرف، واعترفت وزارة المعارف العراقية في السنة التالية بما تمنحه هذه الكلية من شهادات لطلابها على أنها شهادات عالية، والعلوم التي تدرس فيها، هي: الفقه الإمامي، والفقه المقارن، وأصول الفقه، والتفسير والحديث، والتربية، وعلم النفس والأدب، وعلم الاجتماع، والتاريخ الإسلامي، والفلسفة الإسلامية، والفلسفة الحديثة، والمنطق، وأصول التدريس والنحو والصرف، وإحدى اللغات الأجنبية (الإنجليزية).

وهنا برز الدور التجديدي للشيخ المظفّر، فمناهج الدراسة التقليدية في الأصول والمنطق والفلسفة لا تنسجم مع المناهج الحديثة في التدريس، وكان على الشيخ المظفر-وهو يؤسس كلية دينية تقوم على أساس المناهج الحديثة في التدريس-أن يضع المناهج في مثل هذه المجالات، وما كان منه إلا أن استجاب لهذه المهمة، فانتدب قلمه ليضع كتابيه: "المنطق" و "أصول الفقه" في متناول طلابه، محققاً بذلك فتحاً ليس في دنيا مناهج التدريس الديني فحسب، وإنما في كثير من أبعاد علمي المنطق والأصول أيضاً، وإلى جانب هذين الكتابين، كان يلقي على طلبته بحوثاً في الفلسفة الإسلامية، وكان من المقرّر أن تكون كتاباً باسم: "الفلسفة"، إلا أن الأقدار خانت الآمال، فلم يظهر الكتاب إلى عالم النشر.

التبليغ الإسلامي:

وهكذا نجد الشيخ المظّفر، يوقف حياته وإمكانياته من أجل المشروع الإصلاحي - التجديدي، والمتمثل بقضية منتدى النشر، ولحسن الحظ أن يلقى المنتدى تأييد وتبنيّ المرجع الديني الأعلى السيد أبي الحسن الأصفهاني الذي أفتى بصرف الحقوق الشرعية إلى هذه المؤسسة.

وبذلك يكون الشيخ المظفّر قد خطّ معالم نهج جديد، بحيث ظهر نتاج حركته هذه في ثلة رفيعة من كبار العلماء والخطباء، الذين تصدّروا واجهة الخطابة والعمل الفكري والسياسي بعده، ولا زال العديد منهم يضطلع بأعباء مسؤوليات جليلة في الساحة الإسلامية.

عطاؤه العلمي والأدبي

خلّف الشيخ المظفّر آثاراً فكرية عديدة، منها كتاب: "أحلام اليقظة"، استعرض فيه نظريات صدر المتألهّين في الفلسفة. ومنها كتاب: "السقيفة"، وهو كتاب تاريخي تحليلي لوقائع ما بعد وفاة الرسول الأعظم(ص)، كشف فيه الشيخ المظفر عن مقدرة عالية في تناول الموضوعات التاريخية ومعالجتها، وفق الأسلوب الحديث.

ومنها "فلسفة ابن سينا" بسط فيه المؤلف حياة ابن سينا وشرح بعض آرائه، وذكر نقوده عليها، كما خلّف في مكتبته الخاصة كتاباً في "تفسير القرآن"، وآخر في "فقه المعاملات"، وثالثاً في "الإرث"، إضافة إلى كتابيه المذكورين آنفاً: "المنطق" و "أصول الفقه". وإلى جانب ذلك، دخل الشيخ المظفّر الميدان الأدبي، وعُرف فيه شاعراً مُجيداً، وقد نظّم أكثر من ألفي بيت، نزع بعضها إلى تسجيل الخواطر الفلسفية والنفسيّة.

خدماته ونشاطه السياسيّ

عاش الشيخ المظفّر أدواراً مليئةً بالأحداث والتحولات على الفكر والسياسة، وكان معظمها إيجابياً وفعّالاً، إلى جانب ما حمل من التغيير والإصلاح في حياة الحوزة العلمية.

كان له دور في تأييد الثورة الجزائرية ضد الاستعمار الفرنسي، وشجب العدوان الثلاثي على مصر، وفي تأييد انتفاضة الشعب الإيراني بقيادة الإمام الخميني سنة ١٣٨٣هـ/ ١٩٦٣م.

وعلى الصعيد الداخلي، اشتهرت عن الشيخ المظفّر جرأته في طرح بعض القضايا المهمة، وفي هذا الصدد، يذكر الأستاذ جعفر الخليلي ما كان من لقائه مع "ولي العهد"، وكان الخليلي أحد أفراد الوفد، يقول: "وأثناء المقابلة تكلم الشيخ، فما عرفت لوماً أفرغ في عتب حلو جميل، ولا نقداً صيغ في عبارة عذبة كالعتب الذي عاتب به المظفر الحكومة، ولم يكذب ولم يداهن، وخرجنا من البلاط، وأنا جازم بأنه قد قال أكثر مما تسمح به الظروف هناك عن الحكومة وطريقة الحكم".

كما وقف مع آخرين من العلماء بقوّة ضد قانون الأحوال الشخصية الذي أصدره عبد الكريم قاسم، والذي يتعارض مع الأحكام الإسلامية، وأرسلت "كلية الفقه" إلى الحكومة، تقريراً مفصّلاً عن وجوه الاختلاف بين ذلك القانون والقانون الإسلامي، كما أبرق الشيخ عدة برقيات إلى رجال الحكم في العراق، ينذرهم فيها من مغبة التمادي في مخالفة الإسلام.

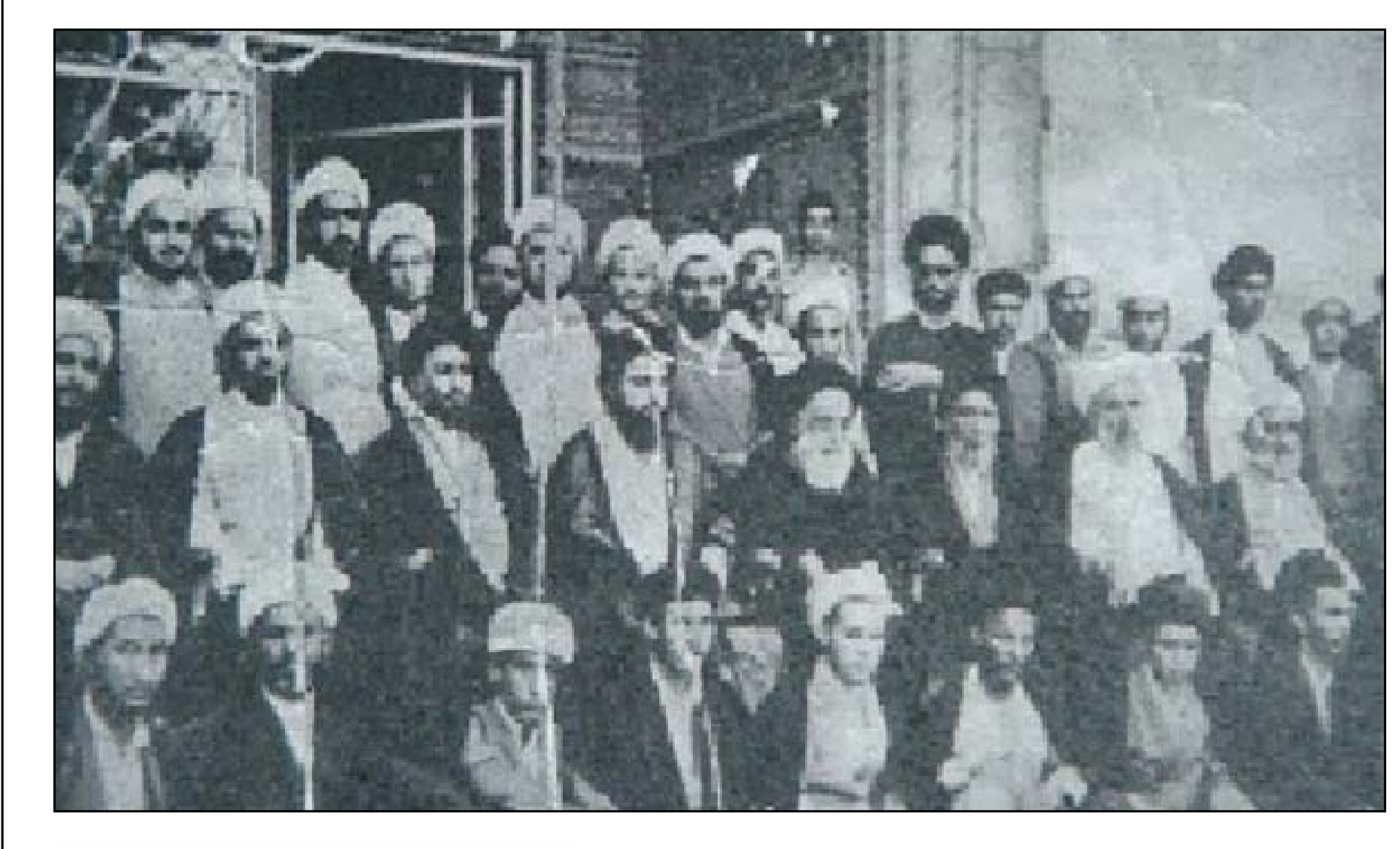
ومن جهة أخرى، مثّل الشيخ المظفّر النجف الأشرف في احتفالات "كراجي" عام ١٣٧٧هـ/١٩٥٧م التي أقيمت بمناسبة مرور ١٤ قرناً على ولادة الإمام علي (ع)، كما حضر احتفالات جامعة "القرويين" بفاس عام ١٣٨٢هـ/١٩٦٠م بمناسبة مرور أحد عشر قرناً على تأسيسها.

سجاياه الأخلاقية

عُرف الشيخ الحجّة المظفّر بسجايا عالية، كالتواضع والإخلاص، وفي شخصه يقول الكاتب المعروف علي الخاقاني: "عرفته منذ زمن بعيد، يرجع إلى أكثر من ربع قرن، إنسان حي الشعور، يقظ القلب، مرح الروح، لا يميز بين العدو والصديق لقوة المجاملة عنده، وقلّما تراه يهاجم أحداً، وإن أزعجه بالقول الجافّ واللهجة اليابسة". وفي مدارس المنتدى ومعاهده، كان يمارس التدريس أحياناً في الصفوف الأولى من الدراسة، عند غياب بعض الأساتذة، ويباشر تدوين السجّلات أو مراجعتها أو طباعة بعض الرسائل بالآلة الطابعة، وهو المجتهد الذي تخرّج على يديه عدد من المجتهدين.

وفاته

انتقل الشيخ الحجّة محمد رضا المظّفر إلى الرفيق الأعلى، ليلة (١٦ رمضان، ١٣٨٣هـ/١٩٦٤م) وشُيّع تشييعاً مهيباً حافلاً بالعلماء وغيرهم، ودفن إلى جنب أخيه الشيخ محمد حسن المظفّر (رحمهما الله).



تعـــود فكرة الاصلاح التي طبقتهـــا جمعية منتدى النشر في مدينـــة النجف إلى عام ١٩٢٥، حينما تألفت جمعيات سريـــة، اشـــبه بمجالـــس تمهيديـــة، للتفكـــير في طريق الاصـــلاح وكســـب الرأي العـــام، في وقـــت كان تداول الافـــكار الاصلاحية حبيـــس الغرف المغلقـــة، إذ يقول الشـــيخ محمد رضـــا المظفـــر»ولا أزال احتفظ بمحاضر جلســـات جماعتي الاولى تلك وبمذكـــراتي الخاصة عنها وعن غيرها، وهي على بســـاطتها تمثل لي مقدار التكتم والخوف، الذي كان يســـاورنا [الخشية من غضب القوى المحافظة]

وبالرغم من مواصلة الجلسات والتفكير طيلة عام واحد، لم نستطع ان نخرج صوتنا من غرفتنا الا بعض الشيء، ولم نستطع ان نضم الينا اكثر من عشرة اعضاء...».



حسين عبد الواحد بدر

الشيخ المظفر وجمعية منتدى النشر

وبرر مظفر تبنيه وزملاءه الحاجة للاصلاح، بنواقص الحوزة كفقدانها نظم التربية والتدريس في الامتحانات، والمواد العلمية، والاجازات الفصلية، والشهادات المرحلية، مما يهدد الحركة العلمية بالشلل، لاسيما بعدما اصطدم النظام التقليدي فيها، بالمعطيات الحديثة في مجال التعليم او كما وصفه بـ(العصر الجديد).

اعلنت الجمعية عن نفسها في ايلول ١٩٣٠، ونالت اعتراف وزارة الداخلية في الخامس عشر من ايلول ١٩٣٥. وجاء اختيار اعضاءها لاسم»منتدى النشر»لكي لايثير معارضة المحافظين، لكونه ينسجم والدعوات لاحياء وتحقيق التراث النجفي، بعد ان تعرضت المدينة وتراثها للتشنيع من بعض الكتب – كما سبق – وبالفعل قامت الجمعية بتحقيق بعض الكتب، لكنها سرعان ما كشفت نواياها الحقيقية في احداث اصلاح شامل في نظم ومناهج الحوزة، لاسيما بعد ان حظيت بتأييد بعض علماء الدين.

ففي عام ١٩٣٣، طرحت مشروعها الاصلاحي، والذي عرف بـ (حركة الكلية) وتمثل بالدعوة إلى تحول الحوزة إلى كلية للعلوم الإسلامية، تنظم الدراسة فيها بجعل مرحلتي المقدمات والسطوح؛ بمثابة مرحلة دراسة اولية، تُهيئ الطالب لمرحلة البحث الخارج (الاجتهاد). ذلك ان الأخيرة تتطلب التمحيص والبحث اكثر مما تتطلب التحضير والاعداد، ولايمكن ان يبعث اليه غير الرغبة إلى البحث، وكذلك شأن النقاش المصاحب لهذه المرحلة؛ مع ادخال بعض العلوم العصرية، وبعض اللغات الاجنبية، وتيسير الكتب وتبسيط مفاهيمها، واخضاع الطلبة للامتحان السنوي.

أشارت الدعوة ردود فعل قوية ومتباينة اتجاهها، شملت النخب النجفية وعامة الناس. فبينما ايدتها مجموعة من الافراد ذوي النزعة التجديدية، بلغت المائتين، وضمت عدد من العلماء في مقدمتهم الشيخ محمد الحسين كاشف الغطاء وفضلاء الحوزة (اساتذة ومجتهدي الحوزات) ومثقفي النجف، عارضتها الاغلبية المحافظة، فوأدتها سريعاً. وقد عزا الشيخ المظفر اسباب فشل مشروع الكلية، إلى افتقار الجماعة المؤيدة لها، للتنسيق والايمان الكامل بها، نظراً لكثرة افرادها، فنجده يقول: وهذه نظرية اجتماعية نستطيع ان نلخصها بقولنا: ان عدد الجماعة يتناسب تناسباً عكسياً مع الشعور بالمسؤولية في الفرد» فضلاً عن عدم طرحها على وفق مراحل، الامر الذي من شأنه ان يجنبها معارضة المحافظين، إذ يقول»ان الدعوة كانت لعمل كبير جداً، ليس من السهل تحقيقه مرة واحدة، مهما كان القائمون به، والتدرج سنة الله في خلقه، ولن تجد لسنة الله تبديلاً».

ولم يكن اخفاقها ثم تجميدها لنشاطها، ليثني الجمعية عن الاستمرار في برنامجها الاصلاحي، ووجدت في حصولهاعلى الصفة القانونية والذي تحقق في آيلول ١٩٣٥، مدخلاً للاعلان عن نفسها مجدداً، باطار جديد، ومنهاج اصلاحي واضح ومعلن، يجسد استيعابها للعبر التي استخلصتها، وفي الوقت نفسه لايفرط بثوابتها؛ املاً في تحقيقها لاحقا، على وفق مبدأ التدرج في الطرح.

فانتخب اعضاؤها الشيخ محمد الحمامي رئيساً لها، والشيخ محمد رضا المظفر اميناً للسر، وفضلاً عن خمسة اداريين، وشكلت الجمعية مجلساً للشورى، باسم المجلس الاعلى للرقابة الجدية، ضم ثلاثة من مراجع التقليد، وافقوا على مساعدتها بعد اطلاعهم على منهاجها الجديد، وهم الشيخ محمد رضا آل ياسين. والسيد محسن الطباطبائي الحكيم، والشيخ محمد حسن المظفر. ويبدو انها ارتأت بهذا المجلس ايجاد نوع من الحماية المرجعية، تجاه أي خطوة مضادة لنشاطها قد يقدم عليها محافظو النجف المرتابون من اهدافها.

وتجلت ابرز المحاور التي حفل بها منهاجها، وسعت جاهدة لتحقيقها في الآتي:

١-النشر والتأليف: ويظهر اهتمامها بها، بتأسيسها لجنة اسمتها»لجنة المجمع الثقافي الديني»، تأخذ على عاتقها نشر الكتب الدينية والتراثية، بعد تحقيقها تحقيقاً علمياً، وتأليف وتشجيع الكتابة في المجالات الاخرى (العلمية والادبية لاسيما اللغة العربية) فضلاً عن استضافة الباحثين إقامة الندوات الاسبوعية، لاسيما في المناسبات العامة والدينية . وكان باكورة اعمالها نشر الجزء الخامس من كتاب (حقائق التأويل في متشابه التنزيل) لمؤلفه الشريف الرضي، بمقدمة تفصيلية عن الكاتب والكتاب، بلغت (٩٢) صفحة؛ لاهميته الفقهية، وهو الجزء المتبقي من اجزائه الكثيرة المفقودة، ثم توالت نشرياتها، التي خدمت طلبة الحوزات الدينية والمثقفين على حدٍ سواء.

نالت لجنة المجمع الثقافي، استحسان السيد ابو الحسن الاصفهاني، الذي ثمن قيامها بنشر كتب ضمن مجموعة بحوث قدمها مؤلفها في الندوات الاسبوعية التي اقامتها اللجنة، حيث عدّها نشاطاً إسلامياً وثقافياً نافعاً للمجتمع.

٢-اصلاح نظام الدراسة الحوزوية: لاشك ان اصلاح نظام الدراسة الحوزوية، كان الهدف الاساسي الذي من اجله اسست جميعة منتدى النشر، لذا لم تمض سنة على إعادة نشاطها، حتى طرحت مشروعاً آخر لتحقيقه، ويقضي بأنشاء مدرسة عالية للعلوم الدينية، باسم كلية الاجتهاد، تجمع بين الدراسة الحوزوية التقليدية، والدراسة الجامعية الحديثة. ويبدو ان الجمعية قد صاغت مشروعها على غرار تجربة مدرسة كاشف الغطاء، أي مدرسة خاصة ؛ لكن على وفق رؤيتها الخاصة، التي تبلورت من استيعابها للدروس السابقة، فهي لم تدع إلى تعميمه، بل كانت تأمل بتطويره.

وبعد اتمام تحضيراتها، اعلنت الجمعية في عام ١٩٣٨، عن افتتاحها للصف الاول من كليتها، وخصص لدراسة اربعة علوم هي: الفقه الاستدلالي (عملية عرض الاحكام الفقهية وبيان الدليل عليها، والتفسير، وعلم الاصول، والفلسفة، تدرس على شكل محاضرات، توضح بلغة سهلة وواضحة. وتبرع لتدريس الاول والثاني الشيخ

عبد الحسين الحلي، والثالث والرابع الشيخ عبد الحسين الرشتي. وهما من كبار فضلاء الحوزة ؛ الامر الذي احدث صدى طيباً في

ارجاء النجف، تمثل بالتحاق عدد منها الطلبة بالكلية، من خلفيات اجتماعية مختلفة.

شجع ما سبق رئيس الجمعية الشيخ محمد رضا المظفر، على فتح صف ثان لدراسة علوم اللغة العربية والمعارف الدينية. واستمر نهاية السنة ، شجع نجاحه في السنة التالية على فتح ثلاثة صفوف اخرى، وتم تنظيم الدراسة، بحيث ينتقل الطالب الناجح من مرحلة إلى اخرى، ضمن ثلاث مراحل. وبلغ عدد طلاب الكلية (١٥٠) طالباً، العديد منهم من ابناء البيوت النجفية العلمية المعروفة، واعترفت بها وزارة المعارف في عام ١٩٣٩، في دلالة عن نجاح الجمعية في مشروعها.

والجدير بالذكر ان القائمين على الكلية، قد شجعوا طلبتها على البحث العلمي والنشاط الثقافي، إذ تقرر جعل ليلة الخميس من كل اسبوع، ما يشبه الندوة، تنعقد بتوجيه من اساتذتها، ويلقي احد الطلبة بحثاً علمياً، ومن ثم يتم مناقشته.

٣-اعادة كتابة بعض من مناهج الدراسة الحوزوية، كتابة حديثة تتبع الطرق الحديثة في كتابة العلوم. كان لجهود الشيخ المظفر اثرها البالغ في هذا الجانب، حيث سعى إلى غربلة بعض الكتب الدراسية القديمة، واعادة كتابتها باسلوب حديث، يسهل على الطالب تلقيها واستيعابها. ومن ابرز مؤلفاته كتب:»المنطق»في ثلاثة اجزاء، و»اصول الفقه»في جُزئين،»ومحاضرات في الفلسفة الإسلامية»، وقداستطاع كتابا المنطق، واصول الفقه، ان يفرضا نفسيهما على نظام الدراسة الحوزوية في النجف وغيرها، وما زالا يدرسان في هذه الحوزات إلى يومنا هذا – اما كتابه الثالث فلم يتعدّ طور المحاضرات التي القاها على طلابه في الكلية.

٤-اضافة مواد دراسية حديثة، لتسليح الطالب الحوزوي بمستجدات علوم عصره، واعداده لما يتناسب وثقافة الجيل المعاصر: – عملت الجمعية على اضافة بعض العلوم الحديثة للمنهج الدراسي في كلية الاجتهاد، الاثراء ثقافة الطالب وتعميق وعيه الحضاري، بغية مساعدته على فهم الامور الاجتماعية، التي لها تماس بالمسائل الدينية ؛ من قبيل: الفلسفة الحديثة، وعلم النفس، وعلم الاجتماع، واصول التدريس. والتاريخ الحديث، فضلاً عن اللغة الانكليزية.

٥-تنشئة جيل واع يؤمن بالاصلاح، من خلال فتح مدارس دينية للتعليم الابتدائي والمتوسط. ادرك القائمون على الجمعية ان تحقيق اصلاح حقيقي، في التعلم الديني، والمجتمع بصورة عامة، لايمكن ادراكه من دون خلق جيل يؤمن به. لذا كان اختيارهم الامثل، فتح مدارس ابتدائية ومتوسطة، تقوم على المواءمة بين المناهج المعتمدة في المدارس الحكومية وبين التعليم الديني، لتشجيع العوائل على ادخال ابنائها فيها، ورفد المدارس الدينية العليا (كلية الاجتهاد وغيرها) بالمتخرجين منها؛ مما يحقق دورة تعليمية كاملة.

ومما هو جدير بالذكر، ان المؤسسة الدينية في النجف بعد عام ١٩٣٥ قد أيدت جانب كبير من الجهود الاصلاحية لجمعية منتدى النشر، فالمرجع الاعلى السيد ابو الحسن الاصفهاني حينما تعرضت الجمعية لضائقة مالية كبيرة في اوائل الاربعينيات، نظراً لتوقف المتبرعين عن دعمها، بفعل انتشار اشاعات تفيد بعدم رضى المرجعيات الدينية عن جهودها، اصدر فتوى شرعية تجوز دعم الجمعية ومؤسساتها من جانبه أثنى الشيخ كاشف الغطاء جهود الجمعية في مجالسي الاصلاح العلمي والثقافة الإسلامية، بوصفها تتوافق وتوجهاته الاصلاحية بهذا الشأن (. ويمكن القول ان نشر الثقافة الإسلامية في المجتمع ينصب في مصلحة المؤسسة الدينية بعد ذلك جزءاً من واجبها في تعزيز القيم السامية من جانب، ويزيد من جانب آخر ارتباط المجتمع بقياداته الدينية، سيما وان الاخيرة قد سعت الدولة العراقية جاهدة للتقليل منه، من باب التحديث اولاً، والخشية من نفوذ رجال الدين ثانياً.

من جانب آخر، كانت لمشاريع اصلاح التعليم الديني، اثرها الايجابي على المستويين الاجتماعي والثقافي. لكون ان أي اصلاح تقوم به جهة ذات مكانة في مجتمع محافظ في شأن ذا اهمية، سيجعل هذا المجتمع اقل معارضة – ان لم نقل – اكثر تقبلاً لفكرة الاصلاح في الشؤون الاخرى، فضلاً عن ذلك ان أي تحرك اصلاحي تتبناه المؤسسة الدينية او فضلاء الحوزة، يشكل – بحد ذاته – حافزاً للأخرين، وكان في تبلور التيار الاصلاحي في هذه المؤسسة اوائل القرن العشرين وأثره المهم على مجددي النجف خير مثال ؛ ومن المفيد بيان ابرز تجليات ذلك، وهي على النحو الاتي:

١-تزايد اهتمام السيد ابو الحسن الاصفهاني بالبناء الثقافي الإسلامي للمجتمع، من خلال تشييد المساجد والحسينيات والمدارس الاهلية مثل مدرسة الجواد في الكاظمية، وانشاء دور النشر، علاوة عن دعمه المادي للمجلات والصحف والمطابع في النجف وغيرها، لتنمو النجف علمياً حسب الحضارة الحديثة.

٢-ضُيقت الشقة بين التعليم الحديث ذا الطابع العلماني الخاضع لاشراف الدولة وبين التعليم الديني التقليدي من جهة، والتقريب من جهة اخرى بين الاوساط الدينية والاوساط العلمانية في المجتمع العراقي.

٣-مثلت الخطوة الاولى لخلق جيل جديد، واسع الاطلاع من النخب الدينية العراقية، مؤمن بالاصلاح الاجتماعي والسياسي في العراق (المجتمع والدولة).

٤-شجعت على احياء النشاط المعرفي والادب العربي، وكانت من وظائف الدواوين النجفية، قبل ان يقل الاهتمام بها لانشغال النجفيين بالشأن السياسي، ويُعد تأسيس الرابطة الادبية في النجف، ابرز مظاهر هذا الاحياء. وتمثل نشاطها بنشر الكتب الادبية والدينية، وكان بعضها من التراث النجفي، والبعض الاخر من نتاج اعضائها، كما اصدرت سلسلة ادبية بعنوان (في الرابطة الادبية)، فضلاً عن انشائها مكتبة سميت بأسمها، ضمت الكثير من المؤلفات في الاختصاصات شتى، وكان يؤمها العديد من المهتمين بالمعرفة من داخل النجف وخارجها. واشتهرت الرابطة بالمساجلات الادبية والفكرية الشيقة بين اعضائها، وقد شغل الصراع بين الحداثة والاصالة جزءاً كبيراً منها، وقد نشرت العديد من هذه المساجلات في سلسلتها الادبية، وبعض الصحف المحلية.



والجدير بالذكر ان منافسة شديدة قامت بينها وبين جمعية منتدى النشر، كانت لها فوائدها على الحركة الفكرية النجفية، إذ كانت تتسابقان في عقد الندوات الثقافية ونشر اكبر قدر ممكن من المؤلفات، لكنها لم تخلُ من بعض السلبيات، مثل مساهمة الرابطة الادبية في اخفاق مشروع»كلية الوعظ والارشاد»التي انشأتها منتدى النشر في عام ١٩٣٨، بغية تهذيب الخطباء، واعدادهم اعداداً يتفق وروح العصر، وتنزيه المنبر الحسيني من خلال التحقق من الروايات التاريخية، نظراً لاهميته التثقيفية انذاك، حينما تمكنت من اقناع الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء بالعدول عن فتوى عزم على اصدارها تأييداً لها، في وقت كانت بأمس الحاجة لهذه الفتوى بعد تزايد ضغوط المحافظين عليها.

٥-شجعت المثقفين النجفيين، على التعبير بثقة اكبر عن رؤيتهم التجديدية للمجتمع العراقي، ومن ابرزهم:

أ-علي الشرقي (١٨٩٢-١٩٦٣): من اوائل المحدثين في الشعر، والمؤيدين للحركة الاصلاحية النجفية، وارائها في التجديد والتحديث ، على علاقة وثيقة بالمرجعيات الدينية الاصلاحية التي ايدت شغله قاضي المحاكم الشريعة في النجف اوائل الثلاثينيات. يصفه جعفر آل محبوبة»من مشاهير ادباء النجف وفي طليعة الكتاب، وهو احد الجماعة الذين رفضوا طريقة النظم القديمة، ونهجوا منهجاً جديداً، لم يكن مألوفاً في بيئتهم ولا كان معروفاً في النفوس وقلبوا الافكار وغيروا مجاري النظم..».

عالجت مواضيعه التي طرحها في الصحف والمجلات والندوات، العديد من القضايا التي تمس الواقع العراقي انذاك، فنجده يوجه نقده اللاذع للتقاليد البالية التي تقف حائلاً امام تطور المجتمع، ومن يدافع عنها، وفي مقدمتهم المحافظين من رجال الدين، بدعوى الحفاظ على القيم الاجتماعية ؛ وصور استغلالهم لمكانتهم الدينية في فرض ارائهم القاضية بالتمسك بالقديم الذي تجاوزته الحضارة الحديثة.

نادى بأنصاف الفئات الفقيرة في المجتمع، لاسيما الفلاحين واصفاً اوضاعهم وهم يرزحون تحت استغلال الاقطاع،ومحملاً الحكومات العراقية مسؤولية القيام باصلاحات اقتصادية جدية، تعمل على انهاء تبعية الاقتصاد العراقي للشركات الاوربية، وتسهم في رفع المستوى المعيشي للعراقيين. كما ايد بقوة اصلاح الدراسات الحوزوية حاثاً القائمين عليها على تبني النظم الحديثة لمواكبة تطورات العصر.

ب-يوسف رجيب (١٩٠٠-١٩٤٧): كاتب وصحفي يُعد من اقطاب الحركة الاصلاحية في النجف. اسهمت الاحداث التاريخية التي مر بها العراق عامة، ومدينة النجف خاصة في بلورة وعيه الاجتماعي والسياسي، إذ عاصر»انتفاضة النجف»١٩١٥ ضد العثمانيين، وانتفاضة ١٩١٨ ضد البريطانيين، وثورة العشرين، فكانت تأثيراتها واضحة فيه، فضلاً عن تأثره ببيئة النجف الفكرية والعلمية، وتجلى ذلك في كتاباته التي ضمنها مختلف المواضيع الاجتماعية والسياسية والثقافية، وعبر فيها بصدق عن تطلعات شعبه وامانيه تجاه مختلف القضايا التي مر بها العراق.

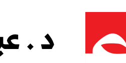
دعا إلى تعليم المرأة وتثقيفها، ونبذ التعصب والطائفية. وطرح عدة معالجات لمشاكل الاقتصاد العراقي، مثل الاقتصاد في المصروفات في الامور الغير اساسية، سواء على مستوى المجتمع او الدولة، وضرورة قيام صناعة وتجارة وطنية على قاعدة التطور والارتقاء في الانتاج، مدعومة من الدولة، لتنشيط الاقتصاد الوطني من جهة، والتقليل من جهة اخرى من الاعتماد على التجارة الاجنبية لاسيما في مجال البضائع الكمالية: كما بين اهمية منظمات المجتمع المدني في رقيّ المجتمع، فطالب بتأليف النقابات وبخاصة للحقوقيين والصحافيين.

ج-جعفر الخليلي (١٩٠٤-١٩٨٥): كاتب واديب قصصي، وصحفي، من مساندي الحركة الاصلاحية في النجف، اصدر في عام ١٩٣٠ صحيقة (الفجر الصادق) اجتماعية سياسية، ثم اصدر في العام ١٩٣٢ صحيفة اسبوعية اخرى بأسم (الراعي) بعد الغاء امتياز الاولى لمعارضتها سياسات الحكومة، وقد لاقت مصير سابقتها، وتعرض صاحبها للملاحقة والسجن، ثم اصدر صحيفة (الهاتف) الادبية السياسية الاسبوعية عام ١٩٣٥، واستمرت بالصدور مدة اربعة عشر عاماً في النجف ثم انتقلت في عام ١٩٤٩ إلى بغداد بعد استقرار صاحبها فيها، وكانت ذا شأن كبير في دراسة الادب والحياة الاجتماعية والسياسية للعراق. وتنوعت القضايا التي اثارها الخليلي، وهدف من طرحها تنوير العقول ونشر ثقافة الاصلاح في المجتمع العراقي ومن اهم اراؤه الفكرية والسياسية انه طالب بعدم تدخل علماء الدين بالسياسة لان ذلك يقلل من مكانتهم .

والجدير بالذكر ان السيد ابا الحسن الاصفهاني والشيخ محمد حسين آل كاشف الغطاء، كانا من المتابعين لصحيفة (الهاتف) الامر الذي شجع الخليلي ليستمر في نهجه، في مؤشر عن اهتمامهما بما تنشره الصحف والمجلات ذي التوجه الاصلاحي من القضايا.

تحديث التعليم الديني ودور مؤسسة الشيخ المظفر

ارتبط التاريخ الديني للحوزة العلمية في النجف بتوجيه وقيادة المنعطفات السياسية في إيران، مثلما نلاحظ في حركة المشروطة ودستور سنة ١٩٠٦؛ إذ كان كل واحد من جناحيها يقوده واحد من مراجع النجف؛ فالشيخ محمد كاظم الهروي المعروف بالآخوند الخراساني كان منحازا إلى الدستور الحديث، وقائدا لحركة المطالبة به، فيما كان السيد محمد كاظم اليزدي قائدا للتيار الآخر الذي عرف في التاريخ السياسي الحديث بـ (المستبدة). كذلك ألفت أهم الأدبيات السياسية عن الدستورية في الحوزة النجفية، مثل كتاب "تنبيه الأمة وتنزيه الملة" للشيخ محمد حسن النائيني، تلميذ الآخوند الخراساني.كما قاد الميرزا حسن الشيرازي من الحوزة العلمية في سامراء ما عرف بانتفاضة التنباك "التبغ" في إيران قبل ذلك.



د . عبد الجبار الرفاعي

وهكذا كانت النجف حاضرة بكثافة في أخطر الأحداث السياسية في العراق، كما في مقاومة الاستعمار البريطاني، بدءا من سنة ١٩١٤ عندما دخل الإنجليز جنوب العراق، ومراوحتهم وتقهقرهم بفعل المقاومة، وعدم تمكنهم من بسط سيطرتهم على العراق بأسره إلا بعد مضي ثلاث سنوات، أي سنة ١٩١٧.وفي ثورة ١٩٢٠ ضد الاستعمار البريطاني المعروفة في تاريخ العراق القريب بثورة العشرين، كان للنجف الدور الأهم في تعبئة الجمهور وإشعال الثورة وفي زعامتها، والتي أفضت إلى تشكيل الدولة العراقية في السنة نفسها. وبعد حركة الاحتجاج الدستوري سنة ١٩٢٤، ونفي مجموعة من المراجع من النجف إلى إيران، تقلص الدور السياسي للحوزة العلمية في الحقبة التالية، حتى استفاق بعد ثلاثة عقود من ذلك التاريخ، فبدأت النجف تنخرط من جديد في الحياة السياسية..ما تعرف الدارسون في الحوزة العلمية قبل أكثر من قرن على شيء من مكاسب العلوم الطبيعية والإنسانية في الغرب، عبر ما كان يصل إلى النجف من مطبوعات ودوريات القاهرة وبيروت.بالإضافة إلى تأسيس المدارس وتدشين النظام التعليمي الحديث في العراق، ومغادرة أسلوب التعليم التقليدي في الكتاتيب.هذه العوامل وغيرها من تحولات تمدينية، واجتماعية، وثقافية، واقتصادية في المجتمع، جعلت الدارسين في النجف في مواجهة عالم مختلف، يضج بالحركة والتغيير، لا تكرر الحياة فيه نفسها، مثلما كانت في الأيام الماضية، بل تتسرب كل يوم مفاهيم وآراء وأسئلة متنوعة، لم يألفها تلامذة الحوزة قبل ذلك.في ظل هذه المعطيات نشر للمرة الأولى بعض الطلاب ملاحظات نقدية على المقررات المتعارفة للدراسة في النجف، فمثلا يقول أحدهم ـ الذي رمز لاسمه بـ"النجف عراقي" ـ في مقال نشره سنة ١٩١٣ "المطول: عبارته أشكل من معناه، وفيه من النحو وفلسفته، والمنطق وأدلته، وغيرها من العلوم، أكثر مما فيه من علمي المعاني والبيان، وكتاب كفاية الأصول: عبارته مغلقة للغاية". ويكتب تلميذ آخر "وصلت في دراستي الحوزوية على الطريقة القديمة في الدراسة إلى كتاب كفاية الأصول الذي صدمني بتعقيده ورموزه وسوء تعبيره، مما يولد في نفسي رد الفعل عن مواصلة دراسة هذا العلم". وكان السيد محسن الأمين العاملي من الرواد الأوائل لحركة الاصلاح في تقاليد التعليم الديني، وقد لخص رؤيته في مقالة تحت عنوان "إصلاح المدارس الدينية" شدد فيها على ضرورة استبدال الكتب الدراسية. كما أصدر السيد هبة الدين الشهرستاني مجلة "العلم" في النجف، في ٢٩ آذار ١٩١٠، وكانت تعنى بالدعوة إلى تبني الأساليب العلمية ونبذ ما سواها.وتألفت عدة جماعات، ظل معظمها يباشر عمله بتكتم وسرية، ويوجه خطابات إلى العلماء البارزين آنذاك تطالب بإصلاح الحوزة العلمية . وكانت هذه الجماعات ـ حسب ما ذكره الشيخ محمد رضا المظفر، أبرز رواد حركة الإصلاح في النجف ـ الذي يصفها بأنها "أشبه بجمعيات سرية أو مجالس تمهيدية في طريق الإصلاح... وأتذكر جيدا ـ والكلام للمظفر ـ أني اشتركت في إحداها، وكنت كاتبها، وأعضاؤها كلهم من الشباب الديني ذلك اليوم... وما أزال أحتفظ بمحاضر جلسات جماعتي الأولى تلك، وبمذكراتي الخاصة عنها وعن غيرها، وهي على بساطتها تمثل لي مقدار التكتم والخوف الذي كان يساورنا، وكان عملنا وتفكيرنا مقتصرا على تفقد المفكرين من أصحابنا، الذين يحسون بالداء مثلنا، وبالرغم من مواصلة الجلسات والتفكير طيلة عام واحد، لم نستطع أن نخرج صوتنا من غرفتنا إلا بعض الشيء". وتمخضت جهود الشيخ المظفر وجماعته عن إنشاء "جمعية منتدى النشر" وميلاد "كلية الفقه" في فترة لاحقة، والتي صارت أهم مشروع تحديثي في النجف.وقبل أكثر من مئة عام أسس الشيخ محمد جواد الجزائري "نقابة الإصلاح العلمي" في الحوزة العلمية، سنة ١٣٢٣هـ، وقد تبنت النقابة صيغة تستند إلى الشورى في بناء هيكلها وقيادتها، وشددت على ذلك في أكثر من مادة في ورقة عملها، وألزمت المنتسبين إليها بكتمان اسرارها، وعدم الإفصاح عن أسماء الأعضاء الآخرين، كإجراء احترازي لتفادي الشائعات والتهم، وما تفضي إليه من مخاطر أمنية تجتث النقابة في مهدها. ولسنا في مقام التأريخ لمسار الإصلاح في النجف؛ لأن في هذا المسار طائفة من الأعلام، ومجموعة من المنتديات، وعددا من المدارس، وبعض المطبوعات والنشرات، ينبغي أن نلم بها، ونقف عندها وقفة تقويمية، نقرأها في إطار المتغيرات ومجمل الملابسات السائدة ذلك الوقت.أما مديات التحديث فيمكن الإشارة إليها من خلال بعض الرؤى النقدية لعلماء معاصرين، من أعلام مدرسة النجف، وتحليلهم لظاهرة الانكفاء، ومناهضة أية عملية تطوير، وطغيان الحالة السكونية على الحياة العلمية في الحوزة، والعلاقة بين هذه الحالة ونمط المفاهيم التي يدرسها التلامذة. يقول السيد الشهيد محمد باقر الصدر: "الاستصحاب الذي قرأناه في علم الأصول، طبقناه على أساليب العمل، وطبقناه على حياتنا، فكنا نتجه دائما إلى ما كان، ولا نفكر أبدا في أنه هل بالإمكان أن يكون أفضل مما كان؟ لا بد أن نتحرر من النزعة الاستصحابية، ومن نزعة التمسك بما كان حرفيا بالنسبة إلى كل أساليب العمل، هذه النزعة التي تبلغ القمة عند بعضنا، حتى أن كتابا دراسيا مثلا ـ أمثل بأبسط الامثلة ـ إذا أريد تغييره بكتاب آخر في مجال التدريس ـ وهذا أضأل مظاهر التغيير ـ حينئذ يقال: لا ليس الأمر هكذا، لا بد من الوقوف، لا بد من الثبات والاستمرار على نفس الكتاب الذي كان يدرس فيه الشيخ الأنصاري رضوان الله عليه، أو المحقق القمي رضوان الله عليه. هذه النزعة الاستصحابية التي تجعلنا دائما نعيش مع أمة قد مضى وقتها، مع أمة قد ماتت وانتهت بظروفها وملابساتها؛ لأننا نعيش بأساليب كانت منسجمة مع أمة لم يبق منها أحد، وقد انتهت وحدثت أمة أخرى ذات أفكار اخرى، ذات اتجاهات أخرى، ذات ظروف وملابسات أخرى...". ولم يتوان الشيخ محمد مهدي شمس الدين من أن يتحدث بصراحة عن قصور أسلوب التعليم التقليدي في الحوزة، وفشله في مواكبة إيقاعات الحياة ومتغيراتها، فيكتب: (يكفي للدلالة على عدم واقعية النظام الدراسي القائم فعلا، أنه نظام لا يفشل فيه طالب، ولا يرسب فيه طالب، وأن جميع المنتسبين إليه يتخرجون علماء. هذا النظام لا يزال حتى كتابة هذه الكلمات على الحال التي كان عليها منذ مئات السنين، فهو يقوم على لا نظام. إنه فوضى. ففيما عدا الكتب المقررة ـ بقوة التقليد، وليس لأنها أصلح الكتب ـ لا يوجد أي نظام يحكم الحياة الدراسية على الإطلاق، وإنما هي الفوضى الكاملة الشاملة، وما أكثر "المشايخ" الذين يكتسبون صفتهم الدينية "والعلمية؟!" من عدد السنين التي قضوها في النجف دون أن يكتسبوا منها شيئا سوى بعض الحذلقة الكلامية. وكثيرا ما ينادى بأن هذا النظام "الدراسة الحرة!!" ـ وأحرى أن يسمى الدراسة السائبة ـ له فضيلة كبيرة، هي إتاحة الفرصة أمام الطلبة للمناقشة والبحث. ولكن أي فضيلة هي هذه التي بسبب ما يدعى من المحافظة عليها تتسيب مؤسسة تدريسية بكاملها. إن هذه الفضيلة الأفلاطونية لا تساوي التضحية المبذولة من أجلها، على أنه ليس ثمة ما يمنع أبدا من المحافظة على هذه الفضيلة مع الأخذ بأسباب النظام). وربما لم تتراكم مكاسب جدية واستثنائية لحركة الإصلاح في الحوزة العلمية فيما مضى، باعتبار أن دعوات هذه الحركة لم تتوغل في بنية اللاهوت الكلاسيكي، ولم تطاول مرتكزات المعارف الدينية التقليدية، واقتصرت في الغالب على دعوات مطلبية آنية، تتمحور حول استبدال كتاب بكتاب، وأسلوب تعليمي بآخر، والخروج من تلغيز عبارات المصنفات القديمة وإغلاقها إلى مصنفات تعبر عن الأفكار بجلاء، وتختزل الاستطرادات، والمباحث المتطفلة على موضوعات العلوم.غير أن مردودات قرن كامل من محاولات تحديث التعليم الديني في الحوزة العلمية وضعتنا على أعتاب مرحلة جديدة، نلمح فيها إرهاصات انبثاق سؤال ميتافيزيقي ولاهوتي مختلف، وبذور جنينية لميلاد لاهوت جديد، لا يخشى من توظيف معطيات العلوم الراهنة في قراءة النص والتراث، ويعمل على تجاوز يقينيات المنطق الأرسطي، وتفكيك مقولاته وأدواته الجزمية الراسخة.





الشيخ المظفر وهاجس الأصلاح الديني



شأن المصلحين في كل زمانٍ و مكان أن يُعفى ذكرهم و تصادر جهودهم ، أو تُختزل من قبل جماعة ما و لغاية ما .
أما الافتخار بهم و بما قاموا به من جهود فلا يستبعد كثيراً .. عالمياً.
أما عربياً .. فبعيدٌ و هم أحياء ، و أقل بعداً و هم أموات .
إذ قد يُكرمون بوضع لوحة تشير إلى شارع فرعي يسمى باسم أحد (المصلحين) ليطبل بعدها المتحذلقون ـ بذلك الإنجاز ـ و بأنهم قد خدموا الثقافة و العلم و المعرفة خدمة لم يقم بها أحد قبلهم و لن يأتي أحد بعدهم يفعل ذلك !!؟

الشيخ ليث عبد الحسين العتابي

نعم .. لقد صدق المتحذلقون .. إذ قد فعلوا شيئاً لم يفعله أحد قبلهم ابداً و ذلك حين زاوجوا بين الثقافة و مديرية البلدية .. ببركة الشارع الفرعي !!!
لكن .. و بصراحة .. قد يكون من كُتب شارع فرعي باسمه أكثر حظاً من غيره .. فالتنافس على الشوارع هذه الأيام كثير !!!!؟
رحم الله الشيخ محمد رضا المظفر ، عاش و مات و هو في كلتا الحالتين كانٍ مجهول القدر .. لم يُنصف في حياته ، و لم يُنصف بعد موته ابداً .
إن المنهج الإصلاحي و التجديدي للشيخ محمد رضا المظفر (قدس سره) كان له في خارج العراق مكانة و تقدير و استيعاب و فهم أكثر من مكانته في داخل العراق .
و هذا بالضبط هو ما مر به مشروع السيد محمد باقر الصدر (قدس سره) ايضاً .
في هذا البحث المتواضع سنحاول الوقوف عند الجهود الإصلاحية للشيخ محمد رضا المظفر (قدس سره) و بما نستطيع ، و قدر الإمكان ، لما نحن محكومون به من وريقات و وقت و شغل شاغل .
نسأل الله تعالى أن يوفقنا إلى تأدية حقه ، فهو و بحق صاحب فضل على كل طالب حوزة ، و على كل طالب علوم دينية ، ما دام الكل يدرس كتبه و يطالع مؤلفاته .

الإصلاح .. دعوى .. أم ضرورة ؟

الإصلاح : اشتقاق من الفعل (ص ل ح) ، و الذي يقابل المعنى المضاد لـ(فسد) ، كما و إن كل المعاني التي وردت في القران الكريم لمفهوم (الإصلاح) تقابل معنى (الإفساد) .
فالإصلاح هو التقويم لما أعوج ، و التصحيح لما أُخطئ فيه ، و ايضاً يحمل معنى التوجيه و الإرشاد .
و الإصلاح هو وضع الأسس الصحيحة ، و العلاج الناجع لأخطاء ظهرت في المجتمع و ذلك لأجل السيطرة عليها و من ثم إصلاحها من أجل بناء مجتمع صالح .
أن الإصلاح و بمعناه العام يتضمن عمليتين قد تجتمعان و قد تفترقان و هما :
١. العمل من أجل الإصلاح .
٢. العمل من أجل رفع الفساد و منع الإفساد .
فـ(الإصلاح) يكون في المواطن التي غيرت معالمها يد الإفساد مادياً و معنوياً ، من أجل إرجاع كلٍ إلى طبيعته ، يشترط في من يقوم بعملية (الإصلاح) أن يكون متصفاً بالصلاح حقيقة و واقعاً ، لا إدعاءً و تجوزاً .
الإصلاح تارة يتم ضمن دوائر ضيقة ، و تارة ضمن دوائر واسعة ، و كلما كان نطاق الإصلاح أوسع و أشمل كانت عملية الإصلاح أصعب و تحدياتها أكبر و أعظم يحتاج إلى توكل و تسديد و توفيق ، و لعل قوله تعالى على لسان نبي الله شعيب (ع) فيه إشارة إلى هذا المعنى :
قال تعالى : ((إِنْ أُرِيدُ إِلاَّ الإِصْلاَحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ)) سورة هود ، الآية (٨٨) .
من المعلوم إن الدعوة الإصلاحية الاساس ؛ هي دعوة الأنبياء و المرسلين (ع) و التي ختمت بالرسالة المحمدية الأصيلة ، التي جعلت من كل مسلم داعية للإصلاح في حدود الممكن و المستطاع ، و وفق الضوابط الشرعية الصحيحة و تحت مسمى شرعي إلا و هو: (الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر) .
إن سعة و شمولية الدائرة الإصلاحية للرسول الأكرم (ص) الإصلاحية هي خير دليل على أفضليته على سائر الأنبياء (ع) .
قال تعالى : ((وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا)) سورة سبأ ، الآية (٢٨) .
أن الفكر الإصلاحي الذي هو أساس الإصلاح يراد به : (جملة الأفكار و التصورات و المفاهيم و النظريات التي تشكل البناء المنظم للمعرفة الإصلاحية و التي هي نتاج لما هو مفكر فيه بمنطق عقلي بشري ضمن ظرفيات مكانية و زمانية محددة) .
و لا بد من الإشارة إلى أن تعريف (الإصلاح) في الفكر العربي يختلف عما هو في الفكر الغربي و بالخصوص الإطلاق الحديث منه . إذ كان هناك لغط و عدم فهم ، و آخذ و رد حول المراد بـ(الإصلاح) .
إن الفكر العربي يتمسك بالمعنى الأصلي و القديم و الوحيد للإصلاح . أما الفكر الغربي فينقسم في فهمه إلى قسمين ؛ أحدهما يُعرف الإصلاح بما يشابه التعريف في التراث العربي . و الآخر يرى الإصلاح انقلاب جذري ، بل تحول كلي من حالة إلى أخرى مختلفة عنها و غير مشابهة لها أصلاً .

هاجس .. و تطلع

كان الهاجس (المناهجي) يؤرق الشيخ محمد رضا المظفر (قدس سره) ، إذ كانت كتب حوزوية كثيرة من أمثال (الحاشية) و (الشمسية) و (كفاية الأصول) غزيرة الحواشي ، صعبة المطالب ، تذهب بالطالب يميناً و شمالاً ، حواشيها و شروحها أكثر صعوبة من متونها ـ في مجمل الأحيان ـ ، و الفائدة منها قليلة مقارنة بما يقرأ من أجلها كماً .
فكان ان عزم (قدس سره) على تقليل الهوة ، و السعي إلى وضع كتب تعتمد منهجية جديدة و مفيدة ، تعطي فائدة أكبر ، سهلة القراءة ، سهلة الحفظ ، يسيرة التناول .
فكان و بحق ان ظهر الإبداع (المناهجي) على يده (قدس سره) في أروع صوره ، تجلى ذلك و بحق في رائعتيه (الأصول) و (المنطق) .
ان لكل كتاب من هذين الكتابين ميزاته التي جعلت منه منهجاً حوزوياً لا يستغنى عنه في كل الحوزات الشيعية قاطبة .
و لا يعني ذلك أن نغفل حق كتاب (عقائد الإمامية) أو كتاب (الفلسفة الإسلامية) و لا حتى كتاب (السقيفة) أي حق من الحقوق .

لمحات من حياة الشيخ المظفر

الدكتور حامد حفني
كاتب مصري

أسرته:

أسرة المظفر من الأسر العلمية في النجف الأشرف، عرفت فيها في أواسط القرن الثاني عشر وقطن بعض رجالها (الجزائر) التابعة للواء البصرة.

وكان الفقيه المجتهد الشيخ محمد بن عبد الله (والد الفقيه الشيخ محمد رضا المظفر من علماء النجف ومراجع التقليد فيها (نشأ في النجف وترعرع فيها، وكان في عنفوان شبابه منقطعا إلى الجد والتحصيل، مكبا على العبادة والتدريس، إلى أن برع في الفقه وعرف بجودة التحقيق فيه) وألف موسوعة فقهية جليلة شرح فيها كتاب (شرائع الإسلام) وسماها (بتوضيح الكلام) وقد استقصى فيها الفقه من مبدأه إلى منتهاه.

ولادته: ولد الشيخ محمد رضا المظفر في اليوم الخامس من شعبان عام ١٣٢٢ بعد وفاة والده بخمسة أشهر فلم يقدر الله تعالى أن يظفر الطفل الرضيع برؤية والده ولا الوالد أن يظفر برؤية ولده فكفله أخوه الأكبر الشيخ عبد النبي المتوفى سنة ١٣٣٧ وأولاه من عنايته وعطفه ما أغناه عن عطف الأبوة.

نشأته الفكرية: نشأ الشيخ المظفر في البيئة النجفية، وتقلب في مجالسها ونواديها وحلقاتها ومحاضرها ومدارسها، وحضر فيها حلقات الدراسة العالية، وتخرج على كبار مراجع التقليد والتدريس، وترعرع في هذا البيت العريق من بيوتات النجف العلمية، وتعهد رعايته وتربيته أخواه العلمان الشيخ عبد النبي والشيخ محمد حسن.

وابتدأ حياته الدراسية بما يتعارف عليه الطالب النجفي من حضور الدراسات الأدبية والفقهية والأصولية والعقلية. وتتلمذ على الشيخ محمد طه الحويزي في الأدب والأصول كما أتقن الشعر، وبرع في ذلك كله، وتتلمذ على غيره من أساتذة دروس مرحلة السطوح في ذلك الوقت، وبرز الشيخ الفقيد في ذلك كله.

وبعد أن أنهى الدور الإعدادي (السطح) تفرغ للدراسات العالية في الفقه والأصول والفلسفة. وحضر فيها على أخيه الشيخ محمد حسن مع أخيه الآخر الشيخ محمد حسين كما حضر درس الشيخ اقا ضياء الدين العراقي في الأصول ودرس الشيخ مرزا محمد حسين النائيني في الفقه والأصول وحضر بصورة خاصة أبحاث الشيخ محمد حسين الأصفهاني رحمه الله في الفقه والأصول والفلسفة الإلهية العالية.

وانطبع الشيخ المظفر كثيرا بآراء أستاذه الشيخ الأصفهاني في الأصول والفقه والفلسفة وجرى على نهجه في البحث في كتابه (أصول الفقه)، حيث تبع منهجه في تبويب الأصول، كما يشير هو إلى ذلك في ابتداء الكتاب، كما تأثر بمبانيه الخاصة على ما يظهر ذلك من خلال كتابه الكبير (أصول الفقه) فيما أنجز من هذا الكتاب.

وكان يجله إجلالا كبيرا، كلما جرى له ذكر، أو أتيح له أن يتحدث عنه، ويخلص له الحب والاحترام، أكثر مما يخلص تلميذ لأستاذه. ويلمس القارئ هذا الشعور والوفاء فيما كتب المظفر عن أستاذه في مقدمات كتبه الفقهية والفلسفية وفي مقدمة الأسفار وغيرها من رسائله ومقالاته.

وتخرج كذلك على مشايخه في الفقه والأصول والفلسفة، واستقل هو بالاجتهاد والنظر والبحث وشهد له شيوخه بذلك. وكان خلال ذلك كله يشتغل بالتدريس على مستوى الدراسات الإعدادية

والدراسات العالية في الفقه والأصول والفلسفة. ذلك كله خارج مدارس منتدى النشر وكليتها أما فيها فقد نذر حياته على تنميتها وتطويرها بمختلف الألوان.

وكان يقوم فيها بتدريس الأدب والمنطق والفلسفة والفقه والأصول من المستوى الأولي إلى المستوى العالي، لا تمنعه من ذلك مكانته المرموقة في الحوزة، ولا إمكانياته الفكرية العالية.

وكم رأينا الشيخ محمد رضا المظفر يحاضر على الصفوف الأولى من مدارس منتدى النشر، ويتلقى أسئلتهم برحابة صدر، ويدفعهم إلى البحث والدرس والتفكير، ويحشر نفسه معهم، حتى كان يبدو للانسان، لأول وهلة، أنه يخاطب زملاء له في الدراسة، لا طلابا بهذا المستوى.

وكان الشيخ يمتاز فوق ذلك كله بعمق النظر ودقة الالتفاتة وسلامة الذوق وبعد التفكير فيما تلقينا عنه من الفقه والأصول والفلسفة. وقد حاول الشيخ في بدء حياته الدراسية أن يلم بعلوم الرياضة والفلك والطبيعة والعروض.

فقد اتفق أن وقعت يد الشيخ على طرف من الثقافة العصرية، وهو في بدء شبابه، فتذوقها، وحاول أن يشق طريقا إلى هذا اللون الجديد من الثقافة واتفق مع آخرين ممن كانوا يتذوقون هذا اللون الجديد من الثقافة على أن يراسلوا بعض المجلات العلمية كالمقتطف وبعض دور النشر لتبعث إليهم هذه الصحف والكتب التي تحمل إليهم هذا اللون الجديد من الفكر.

وأتيح للشيخ فيما بعد أن يستمر على هذه الحالة ويواكب الحركة الفكرية الناشئة ويأخذ نصيبا وافرا من هذه (العلوم الجديدة)، كما كانوا يسمونها، ويتأثر بها تأثرا بالغا إلى جنب تأثره بشيوخه في الفقه والأصول والفلسفة.

آثاره العلمية:

كان النشاط العلمي والكتابة والتأليف يشكل جزءا مهما من رسالة الشيخ محمد رضا المظفر ونشاطه. وإذا ضممنا نشاطه العلمي في التأليف والنشر إلى نشاطه الإصلاحي على الصعيد العام والصعيد الدراسي للمسنا جانبا من هذا الجهد الكبير الذي كان يبذله الشيخ في حياته.

وفي كتابات الشيخ يقترن جمال التعبير وسلامة الأداء وجدة الصوغ وروعة العرض بخصوبة المادة ودقة الفكرة وعمق النظرة وجدة المحتوى، ويتألف منها مزيج من العلم والأدب يشبع العقل ويروي العاطفة.

فقد كان يجري في الكتابة، كما يجري الماء، من غير أن يظهر عليه شئ من الكلفة أو التصنع، وينساق القارئ معه كما ينساق الماء على منحدر من الأرض، من دون أن يعرقل سيره شئ، ولا يصطنع في الكتابة هذه المحسنات البديعية التي تصرف الكاتب عن الانسياق مع الفكرة وتصرف القارئ عن مجاراة الموضوع.

والمواضيع التي كان يتناولها بالكتابة والبحث مواضيع علمية كالأصول والمنطق والفلسفة، يعسر على الأديب أن يصوغها صياغة أدبية أو يفرغها في قالب أدبي من التعبير. وقد توفق الشيخ إلى أن يضم إلى عمق المادة جمال العرض وأكثر ما يبدو هذا التوفيق في كتابه (أحلام اليقظة) حيث يناجي فيها صدر المتألهين ويتحدث معه فيما يتعلق بنظرياته في الفلسفة الإلهية العالية ويتلقى منه الجواب بصورة مشروحة وبعرض قصصي جميل.

ولا أبالغ إذا قلت إن الكتاب فتح كبير في الكتابة الفلسفية فلا تشكو الفلسفة شيئا كما تشكو الكتابة التي لا تخضع لها أداتها. وقد حاول الشيخ المظفر أن يخضع الكتابة للفلسفة، أو

أساتذة وطلاب الدفعة الأولى والثانية بكلية الفقه في النجف الأشرف: 1- الشيخ محمد رضا المظفر عميد كلية الفقه وأستاذ الفلسفة وأصول الفقه، 2- الشيخ محمد حسين الصغير سكرتير جمعية التحرير الثقافي طالب د1، 3- الشيخ عبد المهدي مطر استاذ النحو والصرف وعلم الحديث، 4- الشيخ محمد كاظم شمشاد الهندي مدرس الفلسفة للصفوف المبتدئة، 5- الشيخ أحمد الوائلي د1، 6- الشيخ عارف البصري، 7- السيد أحمد زكي تفاحة د1، 8- الشيخ عباس الخاقاني د2، 9- عبد الرسول الكرمي د2، 10- الشيخ محمد مهدي الآصفي د1، 11- الشيخ عبد الحميد الحر د1، 12- السيد مصطفى جمال الدين د1، 13- الشيخ جابر الخاقاني د2، 14- الشيخ محمود المظفر د1، 15- السيد محمد بحر العلوم د1، 16- الشيخ نعمة الساعدي د1، 17- الشيخ عبد الهادي الفضلي د1، 18- الشيخ محمود الكوثراني د1، 19- السيد مير حسن أبوطبيخ د1، 20- الشيخ محمد الخاقاني د2، 21- السيد عدنان البكاء د1، 22- السيد علي السيد ناصر السلمان د2، 23- الشيخ يونس المظفر د1، 24- الشيخ محمد الايرواني د2، 25- الشيخ أحمد القبيسي د2، 26- السيد محمد محمد صادق الصدر د2، 27- الشيخ عبد الصمد الكرماني د2، 28- الشيخ مجيد الصيمري د2، 29- السيد جعفر القزويني د2، 30- الشيخ جعفر هادي حسن د2، 31- السيد حسين الخرسان د1، 32- الشيخ محمد الحريدي د2، 33- الشيخ عبد العالي المظفر د1، 34- الشيخ محمد علي الايرواني د1، 35- الشيخ علي الفضلي د2، 36- السيد عبد الهادي الحكيم د2، 37- السيد نوري التميمي د2، 38- السيد طالب الرفاعي د1، 39- السيد محمد تقي الطباطبائي د1، 40- الشيخ مهدي السماوي د1، 41- السيد هاشم السيد سلمان د2، 8- السيد أحمد شوقي الأمين د1

يخضع الفلسفة للكتابة، ويجمع بينهما في كتابه هذا.

وتمتاز كتابات الشيخ المظفر بعد ذلك بروعة. العرض والتنسيق، حتى أن كل نقطة من البحث تأتي في موضعها الطبيعي ولا تتغير عن مكانها الخاص حتى تختل أطراف البحث، ويبدو عليه الاضطراب ويتجلى توفيق الكاتب في التنسيق في كتاب (المنطق) أكثر من غيره، ففي هذا الكتاب يجد القارئ كيف تأخذ المواضيع بعضها برقاب بعض، وكيف يترتب كل موضوع على سابقه في تسلسل طبيعي، من غير أن يحيل الطالب إلى موضع آخر في غير هذا الكتاب أو إلى ما يمر عليه فيما بعد.

ويعتبر الكتاب بالانضمام إلى شقيقاته (الأصول) و (الفلسفة) التي لم يقدر الله لها أن تظهر كاملة. تجديدا في كتابة الكتب الدراسية، وفتحا في هذا الباب، وعسى أن يقيض الله من يتابع خطوات الشيخ المظفر في هذا السبيل.

ويجد الباحث بعد ذلك في كتب الشيخ المظفر جدة البحث والتفكير التي تطبع كتاباته جميعا. ويجد ملامح هذه الجدة في البحث والتحليل واضحة قوية في كتابه (السقيفة) عندما يحلل اجتماع المسلمين في سقيفة بني ساعدة، وما حدث هناك.

وعندما يتحدث عن موقف المهاجرين والأنصار من مسألة الخلافة وموقف الإمام مع الخلفاء. كما يجد هذه الجدة في المنطق. عندما يستعير العلامات المستعملة في الرياضيات للنسب الأربع أو عندما يعرض للقارئ بحث القسمة، أو في غير ذلك مما يزدحم به هذا السفر القيم من تجديد البحث وجمال العرض وترابط الفكرة.

شعره:

وكان الشيخ المظفر يمارس النظم في شبابه بين حين وآخر وله شعر متين رقيق الديباجة، تجده منشورا في بعض الكتب والصحف. ويجد القارئ فيه صورا شعرية طريفة ويلتقي فيه بآفاق أدبية جديدة. وانصرف عنه بعد ذلك إلى غيره من الشؤون الفكرية البناءة.

دور الشيخ في تطوير مناهج الدراسة والاصلاح:

كان الشيخ المظفر يحتل القمة من النشاط الإصلاحي في النجف الأشرف فقد ساهم في جميع الحركات الإصلاحية التي أدركها، وكان فيها العضو البارز الذي يشار إليه بالبنان. إلا أن الفكرة الإصلاحية على قوتها وإيمان أصحابها بضرورة تحقيقها في الحوزة العلمية.. كان يفقدها الوضوح والتفكير المنهجي في العلاج.

وقد قدر للشيخ فيما قدر له، بفضل تجاربه الطويلة، أن تتبلور لديه فكرة الاصلاح وتنظيم الدراسة والدعوة أكثر مما تقدم. وأتيح له بفضل ما أوتي من نبوغ وحكمة في معالجة هذه القضايا أن يكشف عن الجذور الأولى للمشكلة، ويدعو إخوانه وأبناءه بإخلاص إلى معالجة المشكلة من هذه الجذور. والمشكلة فيما كان يبدو للشيخ تواجهنا في جهتين في مجال الدراسة وفي مجال الدعوة: ففي مجال الدراسة لاحظ أن التدريس في مدرسة النجف الأشرف ينتظم في مرحلتين: ١ - مرحلة المقدمات والسطوح. ٢ - مرحلة البحث الخارجي.

وتعتبر مرحلة السطوح دورا إعداديا، بينما تعتبر مرحلة الخارج دورا للتخصص في الاجتهاد. وطبيعة هذه المرحلة تأبى أي تعديل في شكلها ومحتواها ولا يمكن إخضاع هذه المرحلة من الدراسة لأي تنظيم منهجي خاص. ولا تتبع الدراسة في هذه المرحلة تنظيما خاصا ولا تكاد تشبه الدراسة بالمعنى المنهجي الذي نفهمه من الدراسة.

وطبيعة هذا البحث لا تتحمل أي تحديد وتنظيم، ولا يمكن حصر النقاش أو تحديد البحث بحد خاص، كما لا يمكن أن يكون الامتحان داعيا إلى البحث والدرس في هذا الدور.

والدور الأول وحده هو الذي يعاني شيئا من النقص ويحتاج إلى شئ من التوجيه والتنظيم. ولاحظ أن أسباب ذلك يرجع إلى نقص في المادة وضعف في الأسلوب. أما من حيث المادة فأن المادة التي يتلقاها الطالب النجفي في هذا الدور من الدراسة لا تزال في كثير من الأحوال تقتصر على دراسة النحو والصرف والبلاغة والمنطق والتفسير والفقه والأصول، مع توسع في المادتين الأخيرتين.

وهذه المواد على ما لها من الأهمية في تكوين ذهنية الطالب لا تنهض وحدها بواجبات الطالب الرسالية من توجيه ودعوة وتبشير وتثقيف. ولا يستطيع الطالب أن يقتصر على هذه المادة التي يتلقاها في هذا الدور لو أراد القيام بدوره من التوجيه والدعوة على أوسع نطاق.

ومن حيث الأسلوب لاحظ الشيخ المظفر أن الكتب الدراسية التي يتعاطاها الطالب النجفي في هذا الدور لا يزال يطغى عليها طابع الغموض والتعقيد، مما يحوج الطالب إلى أن يصرف جهدا كثيرا في فهم العبارة وما يظهر عليها من غموض وتعقيد. ذلك بالإضافة إلى سوء التنظيم في تنسيق الأبحاث. ذلك فيما يخص تنظيم الدراسة.

أما ما يخص الدعوة والتوجيه: فقد وجد الشيخ المظفر أن أداة الدعوة المفضلة هي الخطابة والكتابة. والدعوة الإسلامية تعاني ضعفا في هذين الجانبين. أما فيما يخص الخطابة فقد كان رحمه الله يلاحظ أن أسلوب الخطابة في النجف بوضعها الحاضر لا يفي برسالة النجف بالشكل الذي يليق بمركزها الديني ولا يتم للخطيب أن يقوم بواجبه الاسلامي على نطاق واسع، ما لم يطلع على آفاق الفكر الحديث وشؤون المعرفة التجريبية، بالإضافة إلى الإحاطة الكاملة بشؤون الفكر الاسلامي من فقه وتفسير وحديث وتاريخ وما إلى ذلك.

وفيما يخص الكتابة الإسلامية كان يلاحظ أن مكانة النجف الدينية تتطلب منها أن تساهم في نشر الفكر الاسلامي على نطاق أوسع من الشكل الحاضر، وأن تنطلق الدعوة الإسلامية منها عن طريق الكتابة والتأليف والصحافة والنشر على أوسع مجال

، وأن يشمل هذه التيار الفكري الذي ينطلق عنها والذي يحمل معه الإيمان والاصلاح في وضوح وجلاء أقطار العالم وأينما يحل إنسان على ظهر هذا الكوكب. في الوقت الذي كان يلاحظ فيه أن مدرسة النجف لا تعوزها في كثير من الأحيان مادة الكتابة والبحث.

ومن جهة ثانية كان يلاحظ أن طابع الفردية هو الذي يغلب على الكتابة النجفية والأبحاث التي يعرضها الكاتب النجفي فهي أقرب إلى الجهد الفردي منه إلى الجهد الجماعي.

ومن جهة ثالثة لم تتوفر في النجف في ذلك العهد مطابع مجهزة ولا دور جاهزة للنشر تليق بالمادة العلمية الخصبة التي تعرضها النجف على المطبعة. وكذلك أتيح للشيخ المظفر أن يدرس الحالة في النجف بموضوعية وشمول تامين.

ولكنه كان يعلم في نفس الوقت أن عرض المشكلة لا يؤدي إلى شئ ما لم تتضافر الجهود مخلصة صادقة لتلافي النقص. وكان يعلم أن الأساليب السلبية لا تنفع لمواجهة الحالة والهدم لا يفيد ولا ينهض بشئ، ما لم يكن هناك بناء وراء ذلك، وأن العمل الإصلاحي لا ينفع في مثل هذه الظروف، ما لم يكن مقرونا إلى دراسة الوضع دراسة موضوعية شاملة وإلي الروية والتدرج في العلاج. أدرك الشيخ كل ذلك وفكر في ذلك كله طويلا، وشمر عن ساعد الجد ليخوض ميدان العمل، وهو يدري أن هناك عقبات صعابا تعرقل سيره في هذا الطريق. وأول ما بدا له إيجاد جماعة واعية من إخوانه فضلاء الحوزة تفهم ملابسات الحياة النجفية وتعي واقع الرسالة الفكرية الضخمة التي تحملها النجف.

وفي رابع شوال عام ١٣٥٣ المصادف ١٠ / ١ / ١٩٣٥ قدم ثلة من الشباب الروحانيين (فيهم الشيخ) بيانا إلى وزارة الداخلية يطلبون فيه تأسيس جمعية دينية بالنجف الأشرف باسم منتدى النشر مصحوبا بالنظام الأساسي وبعد اللتيا والتي

أجازت الوزارة فتح المنتدى وأعقبها بمحاولة لتنظيم الدراسة، وتبسيط الكتب الدراسية، وتوسيع المناهج الدراسية، ووجد أن الدراسة المنهجية هي الخطوة الأولى في هذا الطريق، ومهما كانت ضرورة الدراسة الفردية، ومهما قيل في جدواها فلا بد أن ينضم إلى هذا اللون من الدراسة لون آخر من الدراسة يعتمد على نظام خاص.

وبهذا الشكل حاول أن يحقق جزءا من الاصلاح. فوضع (الخطة لتأسيس مدرسة عالية للعلوم الدينية أو كلية للاجتهاد بفتح الصف الأول الذي كان يدرس فيه أربعة علوم الفقه الاستدلالي والتفسير وعلم الأصول والفلسفة على شكل محاضرات توضع بلغة سهلة واضحة، فتبرع بتدريس الأول والثاني الشيخ عبد الحسين الحلي وتبرع بتدريس الثالث والرابع الشيخ عبد الحسين الرشتي.

وكان تبرع هذين العلمين بالتدريس دراسة منظمة من أهم الأحداث في تاريخ النجف الأشرف ويعد تضحية نادرة منهما تذكر مدى الدهر بالتقدير والإعجاب بروحهما الإصلاحية. ولم تأت العطلة الصيفية إلا وتعطل هذا الصف ليعود بعدها ولكنه أبي ولا يدري غير بعض أعضاء مجلس الإدارة أكان إباؤه عن دلال أم ملال أم عن شئ آخر غير منتظر حتى من مثل هذين العلمين نفسهما.

قاتل الله الشجاعة الأدبية كيف تعز في أشد ظروف الحاجة إليها) وفي سنة ١٣٧٦ هـ بعد محاولات عديدة وتجارب طويلة أسس الشيخ المظفر كلية الفقه في النجف الأشرف، واعترفت بها وزارة المعارف العراقية سنة ١٣٧٧ يدرس فيها

الفقه الإمامي، والفقه المقارن وأصول الفقه، والتفسير وأصوله، والحديث وأصوله (الدراية) والتربية، وعلم النفس، والأدب وتأريخه، وعلم الاجتماع، والتاريخ الاسلامي، والفلسفة الإسلامية، والفلسفة الحديثة، والمنطق، والتاريخ الحديث، وأصول التدريس، والنحو والصرف، وإحدى اللغاب الأجنبية.

وقد بذل فقيدنا الشيخ حياته في سبيل تنمية هذه المؤسسة بإخلاص وإيمان يعز مثله في نفوس المجاهدين، فكان يقوم بتدريس الفلسفة الإسلامية وإدارة الصفوف عند غياب بعض المدرسين، في سائر العلوم.

وكان في الوقت نفسه يعد مجلدات كتابه القيم (أصول الفقه) للتدريس في (كلية الفقه)، ويباشر مهام الإدارة والعمادة والتأليف وحتى تدوين السجلات في بعض الأحيان. وكم رأيت الشيخ، وهو يقوم بتدوين بعض سجلات الطلبة، أو طباعة بعض الرسائل بالآلة الطابعة.

وكذلك قامت المؤسسة على عاتق الشيخ الفقيد، وأودعها حياته، وشيدها بحبات قلبه، وبذل في سبيلها جميع إمكانياته. كل ذلك إلى جنب المؤسسات والمشاريع الثقافية الإسلامية الأخرى التي أسسها الشيخ وأتيح لها الاستمرار أو أصابها الفشل.. وإلى جنب حركة النشر والتأليف التي بعثها الشيخ في النجف كانت منها مجلتا البذرة والنجف.

وكان الشيخ المظفر محور الحركة في مختلف وجوه هذا النشاط، وباعثها في كثير من الأحيان، ولم يظهر على حديثه أو قلمه طيلة هذه المدة ما يشعر بأنه شئ يذكر في هذ المؤسسة إلا عندما يأتي حساب المسؤولية فيظهر الشيخ على المسرح ليتحمل هذه المسؤولية بنفس ثابتة وإيمان قوي. وما أكثر ما شوهد الشيخ يلقي دروسا على طلابه الناشئين أو يلقي عليهم نصائح وإرشادات أو يقوم بتوجيههم بنفسه في روحانية وبساطة.

ولم يعرف الشيخ الفقيد حينا من الزمن معنى لكلمة (أنا) ولما يلابس هذ الكلمة من بغض وحب في غير ذات الله. فقد كانت نفسه الكبيرة تضيق بما يسمى (بالبغض) ولا تعرف معنى للخصومة والعداء فاستمع إليه كيف يحدد موقفه من خصومه أو بالأحرى من خصوم المؤسسة (... وأنا أكثر إخواني عذرا لجماعة كبيرة ممن وقف موقف المخاصم لمشروعنا ولا سيما الذين نطمئن إلى حسن نواياهم ويطمئنون إلى حسن نوايانا).

وقلما نعهد أن تبلغ التضحية ونكران الذات فيمن رأينا من أصحاب الأفكار هذا الحد... في سبيل الفكرة التي يؤمن بها الانسان.

وإن من أحب الأشياء إلي أن أختم هذا الحديث بهذه الجملة الرقيقة التي تشف عن نفسية كاتبها الكبيرة (ونحن مستعدون لتضحية جديدة بأنفسنا فنتنحى عن العمل عندما نجد من يحبون أن ينهضوا به دوننا خصوصا إذا اعتقدوا أنهم سيعطون المشروع صبغة عامة بدخولهم وليثقوا أنا عمال للمشروع أينما كنا ومهما كانت صبغتنا فيه ولا نريد أن نبرهن بهذا القول على حسن نوايانا.

إن هذا لا يهمنا بقليل ولا كثير بعد الذي كان، إنما الذي يهمنا أن ينهض المشروع نهضة تليق بسمعة النجف ويؤدي الواجب الملقى على عاتقه كاملا، وبأي ثمن، حتى إذا كان ثمنه أرواحنا. وما أرخصها في سبيل الواجب.
وقد صرحنا مرارا أننا لم نخط حتى الآن إلا خطوة قصيرة في سبيل ما يقصد من أهدافه)

عن مقدمة كتاب: عقائد الإمامية

مع الشيخ المظفر في مذكراته ..

واقع الدراسة الدينية والدعوة الى الإصلاح



د . عبد الستار شنين الجنابي

امتازت جامعة النجف بأسلوبها الفكري القديم الذي طبعته الكوفة بطابعها ، طابع الآداب العربية ، والعلوم الإسلامية ، والروح العلوية . ومع افول مدرسة الكوفة ، وظهور النجف ، استوعبت هذه المدينة ما كان في الكوفة من فكر وتراث علمي حتى برزت كمدرسة جديدة مع منتصف القرن الخامس الهجري ، بداية النصف الثاني من القرن الحادي عشر الميلادي بعد هجرة الشيخ الطوسي لها ، اذ استقرت المركزية العلمية فيها ، ومع بداية القرن الثالث عشر الهجري ، النصف الثاني من القرن الثامن عشر استقرت في منهجها الاصولي .

وفي مدرسة النجف تجسدت مظاهر المدرسة العربية في نظامها ، ولغتها ، واسلوبها . فكانت حلقات الدرس التي تعقد في مساجدها لا تختلف عن حلقات مسجد المدينة المنورة ، او جامع الكوفة الكبير، او مسجد البصرة . واستمرت مدرسة النجف بالمنهج والاسلوب نفسه فكانت تحقق النجاح تلو النجاح . وطبقت شهرتها الافاق ، واستمرت قرون عديدة تملاء صفحات تاريخ التعليم الإسلامي بعدد كبير من العلماء ، على الرغم من التقلبات والعواصف السياسية التي ابتلى بها العراق واهله .

ومع تكوين الدولة العراقية الحديثة ، وانتشار الحداثة في مختلف جوانب المجتمع النجفي ، وتغيّر نظم التعليم ، وانتشار المدارس الرسمية الحديثة التي وفرت لخريجيها فرص عمل مضمونة ، ومشاركة اوسع في جوانب الحياة العامة ، فضلاً عن حصول تغيير فكري واسع اذ انتقل المجتمع النجفي من حالة السكون واللاوعي الى حالة جديدة من الوعي احس الناس من خلالها بأهمية تلقي العلوم الحديثة من خلال التعليم الرسمي في المدارس الحكومية على الرغم من قلتها ، ومعارضة الكثير من رجال الدين لهذه الخطوة.

يشير الشيخ محمد رضا الشبيبي في احدى مقالاته التي نشرها في جريدة الزمان سنة ١٩٤٥ تحت عنوان « في سبيل التربية والتعليم » الى هذا الموضوع فيذكر ان المدّرسين والطلبة المنتمين الى المدارس الدينية حتى العقود الأولى من القرن العشرين كانوا على جهل مطبق بعلوم الحضارة و فنونها ، و بعضهم يعد دراسة العلوم الحديثة ضربا من « المروق » . بل و فوق ذلك كانوا غير ملمين بتاريخهم و بما لسلفهم الصالح من ماضي مجيد في تحصيل المعارف الانسانية وفنونها ... و ادى هذا الجمود على تلك النظم القديمة ، و هذا الضغط على الافكار الى ما اسماه بـ « ثورة فكرية » ، كان من تداعياتها تهافت الفتيان والفتيات على الانتماء الى المدارس والمعاهد الحديثة ، معاهد « المروق » مؤثرين بها على تلك الحياة « = = الآسنة » في مدارسهم الأولى .



وختم مقاله بالقول ان ذلك ما كان الا لجمودهم وتقصيرهم في الإصلاح وغفلتهم عن السير بموجب سنن الحياة العامة التي تسيّر الكائنات ، ومنها سنة التطور ، سنة الله في خلقه ، ولن تجد لسنة الله بديلا .

ومع زيادة اعداد الخريجين من مدارس التعليم الرسمي في النجف ، وازدياد الاقبال عليه ، خسرت المدرسة الدينية التقليدية من رصيدها نقاطاً كثيرة ، ولم تعد تحتل المكانة القديمة نفسها التي كانت تهيمن بها على عقول الناس ، وعلى التعليم بشكله الكلي المطلق ، حتى اضحى التعليم الحديث تحدياً كبيراً امام التعليم الديني الذي ظل يراوح في مكانه ضمن منهج واسلوب قديم ، لم تكن له القدرة على مواكبة ما يحصل من قفزات كبيرة في العلوم الحديثة ، وما تفرضه من مفاهيم وحقائق جديدة بديهية سبق لرجال الدين ان رفضوها حتى وقت قريب . فضلاً عما كانت تعانيه المدرسة التقليدية من نواقصها ، كفقدانها لنظم التربية والتعليم ، والامتحانات ، والشهادات ، والتخصص ، وعدم وجود تقويم دراسي ثابت ، وكثرة العطل والاستراحات والانقطاعات ... .

كل هذا وضع التعليم الديني في مفترق طرق . اذ شعر الكثير من القائمين عليه بأنهم اخذوا يفقدون الصلة بالاجيال الشابة من الشيعة العراقيين على نحو متسارع بسبب الانطواء على الذات والعزلة عن المجتمع وعدم التفاعل معه . فأدى ذلك الى حدوث حالة من الصراع الصامت والدعوة للتغيير والإصلاح بين اوساط المجتمع النجفي خصوصاً المثقفين منهم ، الذين قادوا الدعوة والحملة للإصلاح ونقلوها من اروقة المجالس والمنتديات النجفية الى صفحات المجلات والجرائد التي كانت تصدر في النجف او في مدن اخرى مثل مجلة الاعتدال التي كان يحررها محمد علي البلاغي ، و جريدة الهاتف التي كان يحررها جعفر الخليلي ، و مجلة البيان التي كان يحررها علي الخاقاني ، ومجلة العرفان التي كانت تصدر في صيدا . وقد قاد هذه الحملة مجموعة من المثقفين العراقيين والعرب ، ابرزهم جعفر الخليلي ، وحسين مروة ، ومحمد شرارة ، ومحمد حسن الصوري ، وصفاء خلوصي ، ومهدي المخزومي ، ومحمد علي البلاغي ، وعلي الخاقاني ، وغيرهم .

كان هناك اتجاهان بارزان لوجهي هذا الصراع ، الأول : المحافظون من رجال الدين الذين يصرون على ابقاء القديم على قدمه ، وبأنه الافضل والاصلح ، بدليل ان مدرسة النجف لم ترق ولم تصل الى ما وصلت اليه الا به ، وان تراث هذه المدرسة ونتاجها العلمي الذي ملأ صفحات المكتبة الاسلامية بعدد كبير من المؤلفات والكتب شاهد على ذلك . كان هؤلاء يرفضون كل جديد من دون مناقشة ، وهم باصرارهم على القديم يجدون انفسهم في غنى عن الجديد ومشاكله.

اما الاتجاه الثاني : فقد كان يدعوا الى الإصلاح ، وقد اتخذ مسارين ، الأول : المسار الذي يمكن ان نطلق عليه بالمتمرد ، الذي كان يسعى الى القطيعة التامة مع كل ما هو قديم بدعوى التحديث ومواكبة العصر ، والذي كان يرى ان أي عودة لما هو قديم ، واي نظرة لما في الماضي ، ما هي الا صورة من صور الرجعية التي يجب ان تُرفض وتُقاوم . وان سر الاخفاق يكمن في رجال الدين وحدهم ، وهم سبب الاحباط في كل شيء. وكان ابرز مثل هذا الاتجاه الشاعر محمد مهدي الجواهري ومحمد شرارة ، وحسين مروة . اما المسار الثاني في الاتجاه الإصلاحي الذي يمكن ان اطلق عليه بالتوفيقي او المعتدل ، والذي دعا اليه الكثير من مثقفي النجف وكان من بينهم رجال دين هم في الاساس جزء من المؤسسة الدينية التقليدية ، وكان يرى ضرورة التوفيق بين ما هو قديم واصيل ، وبين متطلبات العصر والحداثة . ومن خلال هذا المسار التوفيقي يمكن السير بتأن وهدوء ، والانتقال بشكل تدريجي نحو تعليم ديني يستوعب ما مطلوب منه من تجديد .

كان رواد هذا التيار مجموعة من رجال الدين المتنورين منهم : الشيخ محمد حسين المظفر ، والشيخ محمد جواد الحجامي ، و السيد علي بحر العلوم ، والشيخ محمد رضا المظفر ، والشيخ عبد الله السبتي ، والشيخ محمد كاظم الشيخ راضي ، والسيد سعيد الحكيم ، والشيخ علي ثامر.

كانت بدايات هذا التيار واصوله تعود الى عام (١٣٤٣هـ / ١٩٢٥م) حينما كانوا جماعات صغيرة منفصلة ، لاتجرأ ان تُصرح بما لديها من فكرة الإصلاح ، خوفاً من سطوة المحافظين وتيارهم السائد . وقد احتاجت هذه الجماعات خمسة سنوات لكي تلتقي وتطور برنامجها الإصلاحي وتظهر به الى الوجود بفكرته المتكاملة .

ويشير الشيخ محمد رضا المظفر في مذكراته عن الموضوع فيذكر انه في سنة (١٩٣٠) بدء العمل من خلال ردة الفعل التي تملكت اصحاب فكرة الإصلاح بعد ان هُوجمت مدرسة النجف من قبل كتب « عدائية » فأثارت فيهم ضرورة بدء العمل لتأسيس جمعية للنشر والتأليف تأخذ على عاتقها واجب الدفاع عن النجف ومدرسته العلمية ، وفي الوقت نفسه تُستثمر هذه الجمعية بعد ان تنال ثقة الجميع لإصلاح التعليم الديني و تلافي ما فيه من نواقص.

وهكذا ولد اول مشروع إصلاحي للتعليم الديني عن طريق مشروع جمعية منتدى النشر التي تولت تأسيس سلسلة مدارس كان خاتمتها كلية الفقه . كبديل ممكن لمشروع اكيد و اكثر طموحاً لم يسمح له ان يرى النور ، الا وهو مشروع انشاء جامعة علمية تجمع شمل الطلبة وتعيد لهم تلك الحيوية التي اضاعوها وفقدوها ، وتحيي الامل في اعادة المجد لجامعة النجف في استقبال حياة علمية جديدة ، لا تقتصر على القديم فحسب ، وانما تضم لها عناصر الحداثة فتأخذ بيدها وترفعها مما هي فيه من هوة عميقة.

وقد حالفني الحظ في العثور على اصول هذا الموضوع في محفوظات وزارة الداخلية . ففي تقرير سري لقائممقام النجف شاكر حميد مؤرخ في (٢٧ تشرين الأول ١٩٣٢) كان محوره حول « تأسيس كلية دينية في النجف » ذكر فيه ، انه منذ بضعة سنوات كان بعض المتنورين من طلبة العلوم الدينية في النجف يعملون بشكل سري لتأسيس كلية دينية تجمع طلبة العلوم الدينية في النجف ، تُسن لها انظة جديدة تختلف عما يُعمل به انذاك ، وتُدرّس فيها العلوم الدينية والعلوم الحديثة كالرياضيات ، والتاريخ ، والجغرافية ، ولغة اجنبية ، وتسير على النظم والاساليب الجديدة في التدريس مثل التدريس الصفي ، والامتحانات ، والمراحل الدراسية . و اشار الى ان دعاة هذه الفكرة هم من رجال الدين العرب ، وان عددهم اخذ يزداد كلما تقدم الوقت ، وان المعلومات المتوافرة لديه من خلال اتصالاته الخاصة والشرطة السرية بأن النشاط لنقل هذه الفكرة الى حيز العمل قد ازداد كثيراً ، وقد سرت بين صغار الطلبة المتجددين ، وبعض المتقدمين من العلماء ، وان الغرض منها تنظيم الدراسة الدينية ، واقتباس العلوم العصرية ، مع تأمين معيشة الطلبة بصورة منتظمة.

واشار التقرير الى ان هذه الجماعات مستمرة في عقد اجتماعاتها ، كما عقدوا بعض الاجتماعات الخاصة مع بعض كبار العلماء للمداولة بهذا الشأن . وانهم قد وجهوا خطابات موقعة بـ (جماعة من طلاب العلم) من دون التصريح باسمائهم موجه الى المجتهدين والبارزين من العلماء العرب فقط ، منهم الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء ، والشيخ محمد جواد الجزائري ، والاخرون يطلبون منهم المساعدة في انجاح هذا المشروع ، و السعي في ذلك لدى الملك فيصل عند زيارته للنجف . و حذروا وبشكل ادبي من مضار عدم دعمهم هذا المشروع الإصلاحي ، وقالوا ان في ذلك استمرار لحالة التدريس الحالية ، ولمعاناة الطلبة في معيشتهم . وقد علق القائممقام شاكر حميد على ذلك بموجب تصوره لمشروع الكلية ، بأن الغاية منه ان يستفيد الطالب من خلال دراسته الدينية فيها كرجل دين ، وفي الوقت نفسه يعمل على تأمين معيشته بوساطة حصوله على شهادة الكلية . لأن بعضهم كان يقضي اشهر عديدة في التجوال ما بين العشائر في المناطق الريفية لكسب قوته ، وان البعض الاخر يتدارك معيشته ويدبرها بصعوبة بالغة.

وفي تقرير لاحق بعد ثلاثة ايام اشار القائممقام الى ان كبار رجال الدين من العرب قرروا الموافقة على فتح الكلية الدينية في النجف ، على ان تديرها هيئة تعين من قبلهم ، وينفق عليها من الاعانات والتبرعات والحقوق الشرعية . وستضاف الى الدروس الدينية اداب اللغة العربية ومواد اخرى كالتاريخ ، والجغرافية ، والهندسة ، والحساب ، والطبيعيات . وان المعلومات المتوافرة لديه تبين ان البدء في العمل ، والشروع فيه ، ومنهاجه ، وزمنه لم يُبت فيه بعد.

ومع سنة (١٩٣٥) توسعت دائرة الداعين الى الإصلاح التوفيقي حتى بلغ عددهم كما يذكر الشيخ محمد رضا المظفر في مذكراته ما يربو على المئتين ، وجميعهم من رجال العلم والادب ومن اهل الكلمة في النجف . ومع ذلك لم يكن كافياً لإحداث التغيير المنشود في نظام الدراسة التقليدية ، بسبب الافتقار الى برنامج عمل واضح لهذه الجماعة ، و ان الكثير منهم لا يرغبون في إحداث تغيير كبير في المناهج و اساليب التدريس.

وعلى الرغم من هذا الهدوء والخجل في عملية الإصلاح ، لم يكن من السهل تمرير المشروع ، بسبب قوة تيار المحافظين ، وسعة دائرة تأثيره ، اذ كان من السهل جداً على هذا التيار بما اوتي من قوة النفوذ الديني والمالي ، والقدرة على تحريك العامة من الناس ومن ثم توجيههم ضد المشروع وضد القائمين به ، و افشاله .

وهكذا ادرك العاملون في المشروع الإصلاحي عدم امكانية القيام بمحاولة واسعة لتغيير المدرسة القديمة ونظامها التعليمي . لذلك شرعوا في اتباع منهج اكثر تواضعاً ، وانتقل محور الاهتمام لديهم من إصلاح الدراسة التقليدية القديمة ، الى تأسيس مدارس دينية على الطراز الحديث ، تكون موجهة الى تلبية حاجات الشيعة العراقيين . واريد لهذه المدارس ان تنتهج طريقاً ثالثاً تجمع فيه مناهج الدراسة الدينية ، ومناهج الدراسة الرسمية الحديثة ، وان تكون هناك امتحانات دورية لتقييم الطلبة ، مع تقويم دراسي ثابت لأوقات الدراسة والتعطيل ، وان لا ينصب الاهتمام على الكمية بل على نوعية الخريجين . وكان القائمون على هذا التوجه يأملون ان تنجب هذه المدارس جيلاً جديداً من رجال الدين والوعاظ الذين تعكس امكانياتهم الحاجات المحددة للشيعة العراقيين، وان يؤسس ذلك لإقامة جامعة دينية ذات طابع عربي على غرار تجربة الازهر في مصر.

وعلى هذا النحو انتهى مشروع انشاء الكلية الجامعة ، و ظهر كبديل له اربعة مشاريع لمدارس جديدة منفصلة ، كان التغيير في ثلاثة منها وهي : مدرسة الشيخ محمد جواد الجزائري ، ومدرسة الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء ، ومدرسة جمعية التحرير الثقافي ، محدوداً والإصلاح فيها لا يرقى الى ما كان مطلوباً للحد الذي يعيد الحيوية والجاذبية التي فقدتها المدرسة القديمة . اما المشروع الرابع فهو مدرسة جمعية منتدى النشر.

لم يكن انشاء بعض المدارس الإصلاحية كافياً لأحداث التغيير الكافي في التعليم الديني ، والدليل هو استمرار تراجع الجامعة النجفية خطوات اخرى بسبب الاصرار على المراوحة في المكان نفسه مقابل القفزات الكبيرة التي حققها التعليم الحديث . لذلك نرى ان حملات الدعوة للإصلاح استمرت من دون توقف . ففي نهاية الثلاثينيات من القرن الماضي كان هناك من يصف حالة المدرسة النجفية بأنها « وصلت الى حد الاشفاق » ، مما يطلق الخوف من ان ينتهي مصيرها الى ما انتهت اليه الحلة وسامراء عندما كانتا مراكز للعلوم الدينية . وقال ان ما يزيد من تعقيد قضية الإصلاح ، وجود عناصر دخيلة في صفوف الهيئة الروحية ، تمسكت بأهداف الرجعية ، فأحدثت صدعاً كبيراً في كيان المدرسة الدينية ، وسببت لها التقولات ، واسندت لها الكثير من الاباطيل التي لا وجود لها في الدين وعلومه . ثم اشار كاتب المقال بالقول ان من حق هؤلاء الرجعيين ان يستمروا في كتمان الحقيقة وتضليل الناس وخداعهم ، ما دام الإصلاح يقضي بإخراجهم من حضيرة الروحانيين. ومع منتصف الاربعينيات من القرن الماضي اشتدت الدعوة لإصلاح التعليم الديني في كل جوانبه ، لابل ان بعضهم طالب بإصلاح المؤسسة الدينية نفسها خصوصاً بعد وفاة المرجع الاعلى السيد ابو الحسن الاصفهاني في النجف .

اما السبب في ذلك فيشير مهدي المخزومي الى ان النجف فقدت القادة الذين يعول عليهم في توجيهها توجيهاً صحيحاً ، وفقدت الرأي العام الذي يستند الى اخلاص اولئك القادة . فبقيت النجف تحيا حياتها العلمية بقوة الاستمرار ، الا ان قوة الاستمرار هذه اخذت تتلاشى شيئاً فشيئاً الى ان وقفت او كادت ان تقف . فأصبح رجال الدين يعنون بالمظاهر اكثر مما يعنون بالمعاني والحقائق ، و اخذ يدخل في زمرتهم اشباه اميين او اميون حقيقة ولا يملكون من صفات الطلبة الا هيئاتهم.

واخيراً يشير الشيخ محمد جواد مغنية الى موضوع الإصلاح فيقول انه ادرك ان الإصلاح يجب ان يبدأ من الجذور لا من الفروع ، وان على رجال الدين ان يوجهوا اهتمامهم لمحاربة الغش والخداع والتضليل ، وان يكونوا صريحين مع الناس ، ويتعاونوا على كل ما يحقق الخير ، ويعلنون للملأ ان الدين شرع لصالح المجتمع ، وانه خاضع لمقاييس العقل ، وهو يعبر عن آلام الناس وآمالهم ، وبهذا يكون الدين قريباً من العقول ومحبباً على القلوب . وقال ان من المُحال ان يحقق طالب العلم رضا الله والناس مادام يرى ان الهدف من طلب العلوم الدينية هو اظهار العلم والمقدرة والصخب و الجدال في المجالس وعدم التسليم للخصم ولو كان على الف حق ... ان الله لا ينظر الى الاقوال والاشكال ، والناس لا يهتمون بأن تُفحم خصمك او يُفحمك هو ، انهم لا يعتنون الا بما يتصل بحياتهم ، ويحقق حاجاتهم والاسلام يؤدي وظيفة ارضية ، كما يؤدي وظيفة سماوية . لذلك فهو يوصي رجال الدين بأن يسيروا مع المجتمع لا بعدين عنه او مترفعين عليه ، ويدعموا مصالحة بقوة الدين ، لكي يرى الناس الاسلام مجسماً بالعمل النافع مع العقيدة السليمة وهكذا يمكن ان يبدأ الإصلاح .

عن رسالة (التاريخ الاجتماعي للنجف)



وفد جامعة الازهر في كلية الفقه في النجف

جمعية منتدى النشر في النجف

صفحات ثقافية لامعة

د . رحيم عبد الحسين العامري

اضطلعت جمعية منتدى النشر بفضل مؤسسيها وفي مقدمتهم الشيخ محمد رضا المظفر بالعديد من الأنشطة الثقافية فقد كانت للجمعية لجنتان هما:

١- لجنة تآخي الطلاب

لم تشر منشورات جمعية منتدى النشر إلى تاريخ تأسيس هذه اللجنة ، بل يكتفي التقرير الخاص بأعمال الجمعية المرفق بنظامها لسنة (١٩٣٥) في طبعته الثانية التي صدرت عام ١٩٥١ بالإشارة إلى ان هذه اللجنة هي لجنة دورية تشكل في كل سنة من الطلبة المتميزين في كلية منتدى النشر بإشراف احد الأساتذة ، ومن أعمالها بعث الروح العلمية والحماس الديني في الطلبة وتشجيع التوجه الأدبي عندهم بالنشرات المدرسية الخطية ، وإعداد المحاضرات الأسبوعية العامة ، ونتيجة لازدياد حضور الحركة الأدبية في النشرات المدرسية الخطية نشأت فكرة إصدار نشرة مدرسية مطبوعة ، فكانت نشرة (البذرة) التي كانت تصدرها لجنة تآخي الطلاب شهرياً ، لتكون ملتقى جهود الطلاب جميعاً ومجمع نشراتهم .

ونتيجة لتطور نشرة البذرة ، التي أخذت تنشر لمجموعة ممتازة من رجال الفكر طلّب إلى لجنة التآخي ان يعين للنشرة صاحباً ومديراً مسؤولاً ؛ لأنها أصبحت إلى المجلة أقرب ، وهكذا أصبحت البذرة في سنتها الثانية مجلة صاحبها السيد هادي فياض صدر عددها الأول في ١٢ شباط ١٩٤٨.

٢- لجنة المجمع الثقافي الديني

تأسست هذه اللجنة في نهاية العام ١٩٤٤ ؛ بناءً على طلب مجموعة من أعضاء الجمعية وهم الشيخ محمد حسين المظفر والشيخ محمد الشريعة والسيد هادي فياض والسيد عبد الحسين الحجار والشيخ محمد جواد قسّام والسيد محمد جمال الهاشمي والسيد محمد تقي الحكيم والشيخ محمد سعيد مانع والشيخ صادق القاموسي والشيخ مسلم الجابري والسيد جواد شبر ، ووافق مجلس إدارة جمعية منتدى النشر على طلب تأسيس اللجنة في ١٥ ذي الحجة ١٣٦٣ هـ / ١٩٤٤م مع المصادقة على نظامها المرفق بالطلب .

أما أهداف اللجنة ، فهي جزء من أهداف الجمعية ، إذ جاء في المادة الثانية من نظامها ما يأتي: « أهداف اللجنة هي بعض الأهداف التي أُسس منتدى النشر من اجلها وهي رفع مستوى الثقافة، وخدمة العلم والدين من طريق النشر والتأليف والمحاضرات». وقد طرأ بعض التغيير على هذه المادة في نظام اللجنة لعام ١٩٥٤ بعد إعادة تأسيس جمعية منتدى النشر، إذ جاء فيها ما نصه :» أهدافها [أي أهداف لجنة المجمع الثقافي] بعض أهداف الجمعية وهي العمل على رفع مستوى الثقافة العلمية والأدبية وخدمة المبادئ الإسلامية والذود عنها ، وذلك عن طريق التأليف والترجمة والنشر والمحاضرات وإحداث الروابط الثقافية مع المؤسسات الأخرى وغير ذلك من الطرق». فضلاً عما تقدم فقد حذفت كلمة (الديني) من اسم اللجنة وأصبح اسمها (لجنة المجمع الثقافي لمنتدى النشر).

حدد السيد محمد تقي الحكيم في عدة نقاط الطرق التي يمكن من خلالها تحقيق أهداف المجمع الثقافي ، وهي : « ١- التماس ما في الشريعة الإسلامية من الأسس القويمة التي وضعت لإصلاح المجتمع الإنساني من الوجهتين الروحية والمادية ولتكوين مجتمع مثالي للإنسانية الكاملة ... ووضعها بين أيدي الناس ببزة تلائم الأذواق في عصرنا الحديث .

٢- تلافي ما حدث في حالتنا الاجتماعية الحاضرة ؛ وذلك بأنْ تعرض بالتفكير والتأمل لمواضع النقص فيها ؛ لتقوم بتكميلها من أقرب طريق ممكنة على ضوء تلكم الأسس المقدسة .

٣- إحياء ذكرى أبطال المسلمين ومفكريهم في مختلف العصور والبيئات ، واستخراج العبر من حياتهم وإرسالها بين الناس .

٤- إيجاد التفاهم والتعاون بين رجال الإصلاح في المجتمع الإسلامي الحاضر والاستعانة بآرائهم في تحقيق ذلك الهدف القيّم .

٥- بعث الكتب الثقافية القديمة دينية كانت أم أدبية ؛ وذلك بإعادة طبعها وطبع ما لم يطبع منها حتى الآن ، على أن يتم كل ذلك من طريق التأليف والنشر والمحاضرات « .

توزعت أنشطة المجمع الثقافي بين أربع أسر في سبيل العمل على تحقيق أهدافه ، وهذه الأسر هي:-

١- أسرة التحقيق والنقد : من ابرز مهام هذه الأسرة البحث عن الكتب الثمينة وتحقيقها تحقيقاً علمياً حديثاً ، وتتبع الدراسات الإسلامية وملاحظة ما يمس المبادئ الإسلامية والرد على ما يستحق الرد منها ، فضلاً عن مراجعة الكتب المقدمة للطبع وإبداء الرأي فيها والإشراف على طبعها .

٢- أسرة الأدب : مهمتها إعداد المباريات الأدبية وتشجيع المتبارين ، والتماس الطرق لتجديد الفنون الأدبية، فضلاً عن العناية بالبحوث اللغوية وتيسيرها ، بجانب إحياء ذكرى المناسبات الدينية والبحث عمن يستحق بعث ذكراه من أعلام العلم والأدب. وللأسرة حق الإشراف على تنظيم الحفلات العامة التي يقيمها المجمع وجمعية منتدى النشر.

٣- أسرة المكتبة: وتضطلع بالعمل على تنمية وتوسيع المكتبة وتنظيمها تنظيماً حديثاً وإعداد فهارس لها؛ لتمكين الباحثين والمطالعين من الاستفادة منها.

٤- أسرة النشر : ومهمتها الإشراف على تحرير مجلتها إن وجدت ، وكتبها الدورية وطبع الكتب التي تقرها إدارة المجمع .

نجح المجمع الثقافي ابتداءً من العام ١٩٤٦ في نشر سلسلة من الكتب تحقيقاً وتأليفاً ، منها الكتب التي ألفها رئيس المجمع الشيخ محمد حسين المظفر وهي : الشيعة والإمامة ، والصادق وهو في جزءين ، والثقلان ، وله أيضاً كتاب الشيعة وسلسلة عصور الإسلام ، وميثم التمار، وللسيد محمد تقي الحكيم المؤلفات الآتية : مالك الاشتر وشاعر العقيدة والكتاب الأخير كان في الأصل مجموعة محاضرات للسيد محمد تقي الحكيم ألقاها في لجنة المجمع الثقافي عن الشاعر السيد الحميري ، وطبع الكتاب في بغداد عام ١٣٦٩هـ/ ١٩٥٠م ، وله كذلك زرارة بن اعين وأبو فراس الحمداني أما الشيخ محمد رضا المظفر فنشرت له لجنة المجمع الثقافي جزءين من كتاب المنطق وكتاب السقيفة ، وللسيد محمد جمال الهاشمي كتاب الزهراء وهو مجموعة محاضرات ألقاها في لجنة المجمع الثقافي طبع ببغداد سنة ١٣٦٩هـ/ ١٩٥٠م ، وكذلك كان كتاب أسبوع الإمام ، عبارة من مجموعة محاضرات ألقيت في الأسبوع الثقافي الذي أقامه المجمع الثقافي عام ١٩٤٥بمناسبة الذكرى السنوية لاستشهاد الإمام علي بن أبي طالب(ع) ، وطبع الكتاب في النجف عام ١٣٦٥هـ / ١٩٤٦م ، وحقق عضو المجمع الشيخ حليم الزين كتاب كنز العرفان في فقه القرآن للمقداد السيوري أحد أكابر فقهاء المسلمين في القرن التاسع الهجري (ت ٨٢٦ هـ) ، وفي عام ١٩٥٦ طبع المجمع كتاب النص والاجتهاد للسيد عبد الحسين شرف الدين ، بتوجيه من أسرة التحقيق والنقد في المجمع الثقافي .

لم تقتصر أعمال المجمع الثقافي الديني على إصدار المؤلفات وتحقيق التراث بل كان من أهدافه أيضا عقد الندوات الفكرية وفيها يلقي بعض أعلام الدين وأقطاب الفكر محاضراتهم القيمة ، بجانب إقامة الحفلات لأحياء ذكرى عظماء الإسلام تلقى فيها المحاضرات والقصائد ، فضلاً عن تخصيص يوم الجمعة من كل اسبوع للمحاضرات العامة. زيادة على إقامة المجمع دورات في بعض العلوم التي كانت الحاجة إليها ملحة في مطلع العقد السادس من القرن العشرين، مثل دورة مسك الدفاتر التجارية ودورة قسم العلوم الرياضية إلى جانب الدورة الخاصة ببعض اللغات الأجنبية.

واستناداً إلى أنشطة المجمع الثقافي وأهدافه والطرق التي رسمت لتحقيق تلك الأهداف يمكننا أنْ نتلمس معايير ومقومات واقع حركة التجديد التي كانت تعيشها النجف وهي ترسم الخطوط الرئيسة لنهضتها الفكرية الحديثة ، وتستوعب المزيد من الطاقات الخلاقة لتفعيل الحياة الفكرية واغنائها من أجل بناء الشخصية الإسلامية القادرة على البقاء والاستمرار .

ومهما يكن من أمر ، فأن مجلة النجف الصادرة عام ١٩٥٦ ، تعد إحدى الواجهات الثقافية لجمعية منتدى النشر ، ومثل ما هي مجلة البذرة تولى تحرير مجلة النجف وإصدارها طلبة مدارس جمعية منتدى النشر وكليتها ، وقد سجلت المجلة باسم السيد هادي فياض الذي ترأس تحريرها أيضاً. وهكذا ظلت أعمال جمعية منتدى النشر تتفاعل في المجتمع العراقي عموما والمجتمع النجفي منه على وجه الخصوص لما يربو على الأربعة عقود من الزمن ، على الرغم من العقبات الكثيرة التي واجهتها الجمعية ، لكن تلك العقبات قد قضت على وجود الجمعية في نهاية المطاف .

- تقييم تجربة منتدى النشر

حظيت جمعية منتدى النشر بدعم العديد من المراجع والعلماء وبعض الأسر العلمية المعروفة في النجف مثل آل ياسين وآل بحر العلوم وآل مشكور وآل الصافي وآل الصدر ، الذين أرسلوا أبناءهم للدراسة في مدارس منتدى النشر وكلياتها تأييداً لفكرة الإصلاح الدراسي ، فضلاً عن دعم المرجعية العليا زمن السيد أبي الحسن الأصفهاني (١٨٦٨ - ١٩٤٦) الذي أيد الجمعية في فتح المدارس في النجف ، وحرص على أن تفتح الجمعية مدارس في مدن أخرى . وكذلك أجاز صرف الحقوق الشرعية لصالح الجمعية ، هذا إلى جانب الدعم المادي والمعنوي الذي حظيت به الجمعية أحيانا من مرجعية السيد محسن الحكيم (١٨٨٨ - ١٩٧٠) ، الذي خلف السيد أبو الحسن الأصفهاني في تسنم المرجعية العليا في النجف الاشرف .

تمكنت المؤسسات التعليمية والثقافية لمنتدى النشر ، في ظل دعم المرجعية والطبقة المتنورة وجهود القائمين على أمر الجمعية ، من تخريج الآلاف من حملة شهادة البكالوريوس في اللغة وعلوم الشريعة أكمل عدد كبير منهم الدراسات العليا فضلاً عن تخريج المئات من علماء الدين الأكاديميين الواعين ، الذين رفدوا المكتبة العربية والإسلامية بدراساتهم وبحوثهم ، واستطاعت تلك المؤسسات تحقيق نقلة في الخطاب الحوزوي بدفعه إلى المعاهد الأكاديمية داخل العراق وخارجه ، وبذلك تمكنت من كسر الطوق الذي أحيط بنشر أفكار الجامعة النجفية الكبرى ، فضلاً عن إتاحتها الفرصة أمام بعض رجال الوسط الحوزي في اقل تقدير للاطلاع على العلوم الأخرى في المجتمع في مجالات السياسة والتاريخ والفلسفة والرياضيات وغيرها من العلوم ، وإذا كان لجمعية منتدى النشر بمدارسها وكلياتها ان تفتخر بشئ من انجازاتها التي قدمتها للمجتمع فيكفيها فخراً تقديم ثلاثة أعلام عدّوا من مشاهير المفكرين الإسلاميين ، إذ تجاوزت شهرتهم محيط العراق وما زالت كثيراً من كلماتهم ملئ الآذان ، هم المفكر والفيلسوف الإسلامي الكبير السيد محمد باقر الصدر ، والعالم العامل المرجع الكبير السيد محمد محمد صادق الصدر والعالم والخطيب البارز المعروف بعميد المنبر الحسيني الدكتور الشيخ احمد الوائلي . هذا مع الأخذ بنظر الاعتبار تفاوت تأثير جمعية منتدى النشر في ثقافة الشخصيات المذكورة لصالح الثاني والثالث أكثر من تأثيرها على التكوين الفكري للأول ، الذي دخل مدارس الجمعية في مراحلها الأولى فقط .

لم تبق المؤثرات الإصلاحية لجمعية منتدى النشر حبيسة مدينة النجف الاشرف ، بل امتدت إلى مدن أخرى ، إذ تم افتتاح فرع للجمعية في الحلة عام ١٩٤٣ وفي البصرة عام ١٩٤٥ وفي مدينة الكاظمية المقدسة عام ١٩٤٣ ، والظاهر أنّ هذا الفرع قد افتتح قبل حصول الموافقة الرسمية بعام أو أكثر ، وقد صادقت وزارة الداخلية على نظام فروع جمعية منتدى النشر في عام ١٩٤٦ بحسب كتاب قائمقامية النجف ذي الرقم (٢١٥٦) في ٢٩ / ٤ / ١٩٤٦ . وفضلاً عن مؤثرات الجمعية داخل العراق امتدت مؤثراتها إلى مراكز شيعية أخرى خارج العراق ، وقد المحنا إلى هذا الأمر سابقاً .

ومع ما حظيت به جمعية منتدى النشر من تأييد المرجعية وبعض الأوساط المثقفة ، إلا أنها في مقابل ذلك جابهت عدة عقبات وعراقيل حالت دون تحقيق كامل أهدافها المرسومة . وعلى الرغم مما قدمته الجمعية من خدمات للمجتمع العراقي ، إلا ان نظرة المعارضة والرفض من المجتمع بشكل عام والوسط الحوزوي بوجه الخصوص اتجاه الجمعية لم يطرأ عليها تغيير ملموس حتى أواسط الستينيات من القرن العشرين بعد ان رأى المجتمع الثمار الحقيقية للتجربة الإصلاحية التي نهضت بها الجمعية ، حين ازداد عدد العلماء والشعراء والخطباء والمثقفين من خريجي منتدى النشر ، وجاء ذلك بعد مضي قرابة الثلاثين عاماً على التأسيس كانت مليئة بالمعارضة والصدود.

وعلى الرغم من مراعاة جمعية منتدى النشر مسألة عدم مفاجأة الرأي العام وإتباع اسلوب التدرج في الإفصاح عن أهدافها ، إلا ان مجافاة طلبة المنتدى كان طابعاً عاماً في الوسط الحوزوي، ذلك الوسط الذي يحتاجه طلاب المنتدى في التدريب على أساليب المناقشة والجدل العلمي ،غير أنّهم كانوا يواجهون بعدم الاعتناء واللامبالاة ، بل بالاستنكار والتصدي في بعض الأحيان ، ولا ينكر وجود بعض الاستثناءات ، لكنها كانت قليلة ، وربما يعود سبب ذلك إلى ان بعض أساتذة المنتدى ومنهم الشيخ المظفر كانوا كثيراً ما يرتادون المجالس والأندية النجفية مستصحبين معهم عدداً من الطلاب مع إفساح المجال لهم لعرض المسائل العلمية ... ويسود الجدل العنيف بينهم وبين عدد من فضلاء الحوزة ، الأمر الذي يثير بعض النفوس فكانت المشاكل تتوالد وتتراكم على غير ما هو متوقع.

كانت قناعة الشيخ المظفر بضرورة الإبقاء على بعض الأعضاء المنتمين إلى البيوتات النجفية المعروفة من الأسباب المهمة التي أدت إلى عدم تقدم مشروع الجمعية بخطوات سريعة ، وذلك لكثرة اعتراضات أو مخالفات أولئك الأعضاء ولجاجتهم ناهيك عن إصرارهم على فصل بعض الأعضاء فصلاً نهائياً مما حرم الجمعية من بعض العناصر المفكرة ، هذا فضلاً عن عدم استناد الجمعية على جهة معينة في تمويلها.

شغلت المساعدات حيزاً كبيراً في حجم واردات الجمعية ، ففي ميزانية السبع سنوات (١٩٤٩ - ١٩٥٥) شكلت المساعدات أكثر من نصف واردات الجمعية البالغ مجموعها (٩٢٤٩) ديناراً و (٨٩٢) فلساً ، أسهمت المساعدات فيها بما مجموعه (٤٩٩٨) ديناراً و(٥٩٩) فلساً . بينما بلغت نفقات الجمعية خلال المدة نفسها (١١٧٣٤) ديناراً و(٨٦) فلساً والعجز واضح في الميزانية ؛ إذ بلغ(٢٤٨٤) ديناراً و (١٩٤) فلساً ، فلم تكن واردات الجمعية ، المتأتية من إيجارات عقاراتها وبيع مطبوعاتها ورسوم اشتراكات الأعضاء تكفي لسد نفقاتها فتلجأ إلى القروض ؛ لذا شكل العجز المالي عائقاً آخر أمام تطور الجمعية التي تعتمد على المساعدات بشكل كبير ، وإذا ما علمنا أن تلك المساعدات غير ثابتة فهي بين مد وجزر بحسب الظروف ، أدركنا مدى الصعوبات المالية التي كانت تعانيها الجمعية .

كانت المواقف السياسية من جمعية منتدى النشر ، وبخاصة بعد العام ١٩٦٨ ، العائق الأكبر أمام تحقيق الجمعية كامل أهدافها التي أرادت تتويجها بإنشاء جامعة منتدى النشر ، بيد ان الوضع السياسي بات يهدد وجود الجمعية بالكامل وذلك بتأميم مؤسساتها التعليمية كافة كما مر بنا . أعقبها القضاء على وجود الجمعية نهائياً نظراً للظروف السياسية الساخنة والزاخرة بالإحداث التي شهدتها النجف في عقد السبعينيات ومطلع الثمانينيات من القرن العشرين .

لم تكن جمعية منتدى النشر هي الجمعية الإصلاحية الوحيدة في النجف الاشرف ، بل كانت هنالك جمعيات أخرى إلا أنها كانت اقل تأثيراً ؛ لأنها لم تكن قادرة على تحقيق أهدافها الكبيرة ، فظلت تراوح في مكانها ، وهذا الأمر ينطبق على جمعيتي الرابطة الأدبية والتحرير الثقافي على اختلاف مستوى الفاعلية بينهما لصالح جمعية الرابطة الأدبية ، التي أسسها عام ١٩٣٢ مجموعة من الأدباء على رأسهم الشاعر المعروف محمد علي اليعقوبي ، لتربط بين الشعراء والأدباء ، وهي أول مؤسسة ثقافية أدبية في تاريخ النجف الحديث، ويقع ضمن أهدافها كذلك العمل على إيجاد حلقة وصل بين رسل الثقافة في العالم العربي وجامعة النجف العلمية .

أسهمت الجمعية مساهمة فاعلة في بعث الحركة الأدبية في النجف ، وكانت رائدة النهضة الأدبية الحديثة فيها ، عُرفت أيضاً بندواتها ومجالسها الأدبية بجانب قيامها بنشر بعض الكتب الأدبية والدينية مثل ديوان الشبيبي والفلسطينيات وجهاد المغرب العربي والقرآن الكريم والطب الحديث ولمحات من حياة الشيخ اليعقوبي ، وإصدار سلسلة أدبية بعنوان في الرابطة الأدبية .

شهد نشاط جمعية الرابطة الأدبية تراجعاً مطلع الخمسينيات من القرن الماضي ، ولم يكن نشاطها بالسعة التي كان عليها نشاط جمعية منتدى النشر ذات الفاعلية الأقوى في مختلف أوجه النشاط الاجتماعي . وبالمقابل اقتصر نشاط جمعية الرابطة الأدبية على المجالات الأدبية ، الأمر الذي أدى إلى خلق جفوة ونوع من المنافسة بين الجمعيتين على حد تعبير الشيخ باقر شريف القرشي ، احد الأعضاء البارزين في جمعية الرابطة الأدبية . ويبدو أنّ تلك المنافسة قد وصلت إلى حد الخصومة في بعض الأحيان ، والى شيء قريب من هذه المعاني يشير جعفر الخليلي.

أما جمعية التحرير الثقافي التي أسست عام ١٩٤٥ ، من بعض طلاب الحوزة العلمية وغالبيتهم من طلاب الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء ، وكانت الجمعية تهدف إلى محاربة الأمراض الاجتماعية ، والسعي لنشر المبادئ الخلقية السامية للإسلام وخدمة اللغة العربية والسعي لنشر العلم والثقافة .

فتحتْ جمعية التحرير الثقافي عام ١٩٤٦ مدرسة ابتدائية وما لبثت ان فتحت مدرسة ثانوية . كانتا من بين المدارس التي أُممت عام ١٩٧٠ . وقد راعت الجمعية في مدارسها مسألة تدريس العلوم الدينية بجانب العلوم الحديثة ، وأصدرت الجمعية عام ١٩٥٧ مجلة النشاط الثقافي التي عُرفت باهتماماتها الثقافية والأدبية ، وقد حظيت الجمعية بدعم وتأييد الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء .

أكد مؤسسو جمعية التحرير الثقافي تأثرهم بأنشطة جمعيتي الرابطة الأدبية ومنتدى النشر ، لكن جمعية التحرير الثقافي كنظيرتها الرابطة الأدبية لم تبلغ ما بلغته منتدى النشر من الأهمية والتأثير ، ولم تكن قادرة هي الأخرى على تحقيق أهدافها الكبيرة لذا بقيت تراوح في مكانها .

قبسات من حياة الشيخ المظفر

مظفر العـوادي

كثير هم علماءها تلك الصومعة المقدسة وذلك الدير الإلهي المشرف بما احتضن من جسد اشرف الخلق بعد النبي الخاتم (ص) عرفته الإنسانية والكون ، لكن قليل هم من تلألأ نجمهم على مر الأزمنة مجددين ومتنورين بين فترات الزمن ليزيحوا غبار الرتابة والانغلاق ويشيعوا روح الحداثة والتجديد العلمي والاجتماعي بل تعدى ذلك إلى التجديد في المسار الإنساني عموماً بما حوته مشاريعهم من نهج الحوار والسلام وفهم الآخر وتقبله ، ومن تلك النجوم التي لازال نجمها يتلألأ بريقاً ليضيء آلاف المحافل العلمية والإنسانية هو الشيخ (محمد رضا المظفر) (رض) مجدداً وراعياً للحداثة العلمية والاجتماعية وبذل عمره الشريف في سبيل هذا النهج وإنجاح ذلك المشروع تاركاً ما حل له من الرخاء والملذات وهناء العيش ليسكن ذلك الصرح راهباً لا يبحث عن مسميات وعناوين أبيحت له تاركها وراء ظهره بأسلوب الأستاذ والمفكر والفيلسوف منتهجا نهج من نقل لنا التاريخ عنهم من فلاسفة ومفكرين وعظماء وضعوا بصماتهم على لوح الفكر الإنساني ووجهه المشرق ، وما اشبه جمعية منتدى النشر ومدارسها وكلية الفقه بأكاديمية أفلاطون إلا انها فاقت بان زينت بالإيمان ودين الحق ونهج التوحيد او كالأزهر الشريف ونظامه الدراسي وزينت بمحبة وولاء محمد وآل محمد (ص) .

فكان مشروعه (جمعية منتدى النشر) وما تفرع عنه من مدارس وكلية ونتاج علمي وثقافي وأدبي شمل النشر والتحقيق وإحياء ما تعدى عليه الزمن من دثر ونسيان ، صار هذا المشروع نقطة تحول عظمى في ذلك المسار المقدس للدراسة الحوزوية من عهد الشيخ الطوسي الى عهد الشيخ المظفر والى الآن ، وكذلك كونه مسبباً ومؤثراً رئيسياً في انشاء الكثير من المشاريع والمحافل العلمية والاجتماعية في عصرنا الحاضر منتشرة في جميع انحاء العالم ولم تقتصر على النجف وحسب اذا ما اخذنا بنظر الاعتبار ان المؤسسين والقائمين على هذه المشاريع هم ممن تتلمذ او عايش مشروع الشيخ المظفر (رض) او من الذين تاثروا به ويكفينا شاهداً هذا البيت لتلميذه الشيخ الوائلي (رحمه الله) في رثائه :

أكبرتُ أمسك أن يأسى عليه غد ولم يزل يرفد الدُنيا بما يلد

وفي هذا المقال المختصر نحاول ان نعرف بهذا المشروع وهو وان كان مخجلاً تجاه الجميل الذي تركه لنا إلا انه بضاعة مزجاة مني ارجو ان تكون متقبلة في بحر الوفاء مع من يريدون ان يسددوا هذا الدين .... والله ولي التوفيق

الشيخ محمد رضا المظفر

الولادة والنشأة :

هو الشيخ محمد رضا بن محمد بن عبد الله بن محمد المظفر النجفي . واسرة آل المظفر اسرة علمية عربية عرفت في النجف منذ القرن الثاني عشر الهجري كثيرة العدد منتشرة في النجف والبصرة والقرنة وفي مدينة بغداد ، ترجع بالنسب الى مسروح حجازية الاصل وترجع الى حرب وحرب كثيرة البطون تتفرع منها اسرة ال مظفر والمؤسس لها الشيخ مظفر بن الشيخ احمد الفقيه من آل علي القاطنة في الحجاز وأعالي المدينة المنورة الذي عاش في النجف في حدود النصف الاول من المائة الحادي عشر للهجرة .

وقد برز بها رجال مثال للعلم والأدب والإنسانية والشرف فطاحل العلماء وكبار الشعراء ، ومنهم الخطباء والأدباء الذين ذاع صيتهم خلال القرن الأخير ، منهم الشيخ يونس والشيخ باقر واحمد ومحمد حسين ومحمد حسن ومحمد علي وعبد الهادي ومحمد حسن ومحمد حسن والشيخ عباس والشيخ عبد الواحد والاستاذ كاظم واخوته والشاعر البصري محمد علي وعبد العال ووالده والدكتور محمود واخوته .

ولد في النجف ٥ شعبان ١٣٢٢هـ بعد وفاة والده بخمسة اشهر ونشأ به على اخويه الشيخ محمد حسن المتوفي ١٣٧٥هـ ومن بعده الشيخ محمد حسين فعنيا بتوجيهه وتربيته ،

النشأة العلمية :

قرأ مقدماته الاولية على اساتذة افاضل ودرس ايضاً العلوم الرياضية والفلكية والتاريخية ونظم الشعر واجاد فيه ، وكان نابهاً ذكياً مجداً في تحصيله ، حضر على الشيخ محمد طه الحويزي والشيخ مرتضى الطالقاني وحضر الابحاث العالية على الشيخ حسين النائيني وأخيه الشيخ محمد حسن المظفر والشيخ محمد حسين الاصفهاني والشيخ ضياء الدين العراقي والسيد حسين الحمامي ، حتى تخرج عليهم وصار من العلماء الأفذاذ في الفقه والأصول ومن اساتذة الادب والحكمة والفلسفة وله الآراء الاصلاحية الراقية في الكتب الدراسية ووسائل الدعوة داخل العالم الاسلامي وخارجه .

يقول عنه العلامة المحقق المرحوم الشيخ جعفر باقر آل محبوبة في كتابه ماضي النجف وحاضرها : (مقالاته المنشورة المتنوعة وشعره الرائق الدائر وفيه من السلاسة والانسجام ما يرتاح له الطبع ويستحليه الذوق الصحيح وهو اليوم معتمد منتدى النشر الجمعية العلمية المتقدمة باعمالها وكثرة نتاجها من أهل الفضل والكمال وهو من رجالها العاملين وعليه تدور رحاها ، وهو الذي أسس منهجها وألف لها بعض الكتب الدراسية في المنطق وغيره مما يتناسب والوقت الحاشر ، وله المام ببعض العلوم الرياضية كالحساب ، والجبر ، والهندسة ، والهيئة) .

حركة التجديد والاصلاح (جمعية منتدى النشر) :

جمعية منتدى النشر في النجف الاشرف جمعية ثقافية عالية ذات أغراض علمية وأدبية واجتماعية وخيرية وذات نفع عام، وتعدّ أهمّ بكثير من جمعية المدارس الجعفرية أو جمعية المقاصد الخيرية، ومن أهمّ أعمالها التحقيق والنشر - لا سيّما التراث الاسلامي القديم - كما يدلّ عليه عنوانها، بالاضافة إلى ذلك فقد اضطلعت الجمعية بتأسيس عدّة مدارس ذات مناهج تربوية إسلامية بمراحلها الثلاثة: الابتدائية والمتوسّطة والاعدادية، إضافة إلى كلية الفقه، تدرس فيها بالاضافة الى المناهج الحوزوية دروس في العلوم التي تعطى في المدارس النظامية وبتحضر اكثر اضافة الى اللغة الانكليزية وكان مؤسسها ورئيسها المرحوم العلاّمة الجليل الشيخ محمد رضا المظفّر، ويتمتّع بالعضوية فيها كلّ من العلماء الافاضل: السيّد محمّد تقي الحكيم، والشيخ محمّد تقي الايرواني، والمرحوم الشيخ محمد شريعة، والشيخ محمّد مهدي مطر، والشيخ محمّد جواد قسّام، وغيرهم، وقد التحق بهم فيما بعد الشيخ أحمد الوائلي بعد تخرّجه من كلية الفقه . ومن الشواهد على عراقة هذه المدرسة هو أن جميع من تخرج منها كان له باع واثر محدث في النواحي العلمية بل وحتى الاجتماعية والتجارية منها وصار منهم العلماء والمراجع ومنهم الخطباء والمحققين ومنهم الشعراء والكتاب والشخصيات السياسية والاجتماعية ، وكثير من طلابها اكمل الدراسة بتفوقٍ في المحافل الاكاديمية في مصر ولبنان فضلاً عن جامعة بغداد التي اعترفت بكلية الفقه لنيل شهادة الماستر .

آثاره في العالم الاسلامي :

كانت له الاراء الاصلاحية الراقية في الكتب الدراسية ووسائل الدعوة داخل العالم الاسلامي وخارجه وهو المؤسس الاول (لجمعية منتدى النشر) سنة ١٣٥٤ والباني لكيانها والمؤلف لها كتبها الدراسية مما يتناسب والعصر الحاضر وتسنم عمادتها من سنة ١٣٥٧ ثم صارت كلية (الفقه) ، وكان من (جماعة العلماء) في النجف ، وانتخب عام ١٩٦٣ عضواً عاملاً في المجمع العلمي العراقي بغداد وحضر عدة مؤتمرات اسلامية منها : مؤتمر باكستان المنعقد سنة ١٣٧٦ ومؤتمر جامعة (القرويين) بمراكش سنة ١٣٧٩

اجازاته :

اجيز بالاجتهاد عن استاذيه اخيه والاصفهاني والسيد عبد الهادي الشيرازي .

آثاره :

من اثاره

١- كتاب المنطق ثلاثة اجزاء .
٢- عقائد الامامية
٣- اصول الفقه
٤- الفلسفة الاسلامية
٥- فقه المعاملات
٦- تفسير القرآن
٧- احلام اليقظة ((وهو دراسة لفلسفة صدر المتألهين المشهر بملا صدرا الشيرازي))
٨- السقيفة
٩- الارث
١٠- حاشية على كتاب المتاجر للشيخ الانصاري .
١١- ابن سينا : ترجمته ودراسة لفلسفته ٠ (مخطوطة)

تلاميذه :

نذكر منهم (السيد موسى بحر العلوم ، السيد الشهيد محمد محمد صادق الصدر ، الشيخ أحمد الوائلي ، الشيخ محمد مهدي الآصفي ، الميرزا مصطفى جمال الدين ، السيد محمد جمال الهاشمي ، الشيخ عبد الهادي الفضيلي ، السيد هادي فياض ، السيد حسين بحر العلوم ، الشيخ يونس المظفر ، السيد عبد الحسين الحجار ، الاستاذ محمد صادق القاموسي ، الشيخ عبد الحسين المظفر ، الشيخ غلام رضا عرفانيان ، السيد عدنان البكاء) .

الحياة الاجتماعية :

بقول عنه رفيق صباه جعفر الخليلي في كتابه (هكذا عرفتهم) واصفا الشيخ واخوته : (ويميز هؤلاء الاخوة الاربعة بشرة طافحة على وجوههم ، وجاذبية من نوع خاص لا يستطيع أحد ان يسبر كنهها ما لم يصابحهم ويماسهم زمناً ينتهي بعده الى الايمان بان هذه الجاذبية إنما هي مظهر من مظاهر الوداعة والطيبة وصفاء النفس ، فقد كان هؤلاء الاخوة وحتى الشيخ محمد علي مظفر الذي يكبر الشيخ محمد رضا والذي قد يثور بعض الاحيان وقد يغضب حين يجري ما يستدعي الثورة والغضب كانوا نسيج وحدهم من حيث الدماثة وإشراقة الوجه .... وفي هذا الدور – دور الشباب – تبحث النفس عن منافذ تطل منها على مباهج الحياة ولذائذها كلاً حسب كينونتها ومزاجها وظروفها ، والنجف بلد قاحل ، خلق ليكون صومعة منعزلة فكان لا بد لطلاب العلم في هذا الدور خاصة ان ينشدوا متعتهم في أوقات الفراغ بالشعر والادب ، واذا ما اتيحت لهم الفرصة في كل اسبوع او في كل شهر مرة كيّفوا ظروفهم بزيارة الكوفة فطافوا بالبساتين وجلسوا على النهر ، او أمّوا مسجد السهلة ومسجد الكوفة في أمسيات الاربعاء خاصة ليجمعوا بين ثواب العبادة هنا والتنفس عن النفس .

وكان الشيخ محمد رضا من اقل المتمتعين بهذه الاجواء لما كان يحمل عاتقه من ثقل المسؤولية بصفته الأخ الاصغر ، ولما كان يفرضه عليه ايمانه من المحافظة على الطقوس الدينية والانكباب على الدرس ، فانحصرت تسليته في الغالب بالشعر والادب) .

وفاته :

يقول جعفر الخليلي : وأثقل كاهل الشيخ محمد رضا الجهد ، كان (جهد المنتدى) وحده لكفى ، وإنما كان عليه أن يبحث ويتتّبع ويؤلف ويواصل عمله كمجتهد ، وقد ألف عدة كتب كانت في عالمها ذات شأن كبير ، وكان عليه أن يتجشم مشقة الطريق بين النجف وبغداد لحضور إجتماع (المجمع العلمي) كلما اقتضى ذلك بصفته عضواً ، وقد شكا – بل هو منذ سنة وأكثر كان يشكو – عوارض قلبية أدت بعد ذلك إلى دخوله المستشفى طويلاً وعلى أن الاطباء كانوا قد الزموه بتجنب الاتعاب الفكرية فقد كان يضطر لإستجابة ميوله فيقرأ ويكتب ويعمل ، ويبدو لي انه كان يحسّ بدنوّ أجله فقد قال لي على أثر قراءته الجزء الاول من كتابي (هكذا عرفتهم) قال لي : ((لو أنك أجّلت صدور هذا الكتاب قليلاً لكان لماضينا فيه ذكر))

انتقل الشيخ محمد رضا المظّفر إلى الرفيق الأعلى، ليلة (١٦ رمضان، ١٣٨٣ هـ - ١٩٦٤م وشُيّع تشييعاً مهيباً حافلاً بالعلماء وغيرهم، ودفن إلى جنب أخيه الشيخ محمد حسن المظفّر بمقبرة (اسرة آل المظفر) في النجف الاشرف .

وأرخ وفاته السيد محمد حسن الطالقاني بقوله :

كلية الفقه ريعت لما دهاها المقدّرْ
بفقد من شاد مجداً لها وضحّى وطوّر
ومن له حسنات وخبرة ليس تنكر
سعى حثيثاً فأضحى شأن لمسعاه يذكر
قضى الرضا اليوم نحباً فلينعه من تدبّر
خسارة قد منينا بها ومجد تبعثر
نعت مدارس أرخ : ((بها العميد مظفّر))

ورثاه تلميذه الشيخ الدكتور أحمد الوائلي بقوله:

لا لن يموت نديٌ منك مؤتلق بالنيران وللامجاد منعقدُ
يا أيها النبع ثرّاً في تدفقه أيام أغزر ما في دهرنا الثّمد
(ستون عاماً) ضخاماً في حصائلها وأن تبدّي قصيداً عندها العددُ
ومن عطائك فيه ألف باسقةٍ شوافع في نداها للسّما نُهُدُ
لا يأكل التّراب روحاً منك خالدةً بل كُلّ ما للتّراب الشلو والجسدُ

العدد (3667)
السنة الثالثة عشرة
الخميس (9)حزيران 2016

من رواد التقريب: الشيخ محمد رضا المظفر

نشأ الشيخ المظفر في البيئة النجفيّة وتقلّب في مجالسها ونواديها وحلقاتها ومحاضراتها ومدارسها، وحضر فيها حلقات الدراسة العالية وتخرج على كبار مراجع التقليد والتدريس، وترعرع في هذا البيت العريق من بيوتات النجف العلميّة، وابتدأ حياته الدراسيّة بما يتعارف عليه الطالب النجفي من حضور الدراسات الأدبيّة والفقهية والأصوليّة وتتلمذ على الشيخ محمد طه الحويزي في الأدب والأصول:

كما أتقن الشعر وبعد أن أنهى الدور الإعدادي تفرغ للدراسات العالية في الفقه والأصول والفلسفة وحضر فيها على أخيه الشيخ محمد حسن وأخيه الآخر محمد حسين كما حضر درس الشيخ اغا ضياء العراقي في الأصول ودرس الشيخ محمد حسين النائيني في الفقه والأصول وحضر بصورة خاصة دروس وأبحاث الشيخ محمد حسين الأصفهاني الفقه والأصول والفلسفة الإلهيّة العالية وتخرج كذلك على مشايخه في الفقه والأصول والفلسفة واستقل هو بالاجتهاد والنظر والبحث وشهد له شيوخه بذلك، وكان خلال ذلك كله يشتغل بالتدريس على مستوى الدراسات الإعداديّة والدراسات العالية في الفقه والأصول والفلسفة.

ذلك كله خارج مدارس منتدى النشر وكليتها، امّا فيها فقد نذر حياته على تنميتها وتطورها بمختلف الألوان وكان يقوم بتدريس الأدب والمنطق والفلسفة والفقه والأصول من المستوى الأولي إلى المستوى العالي. وكان الشيخ يمتاز فوق ذلك كله بعمق النظر ودقة الالتفات وسلامة الذوق وبُعد التفكير فيما تلقينا عنه في الفقه والأصول والفلسفة، وقد حاول الشيخ في بدء حياته الدراسية أن يلم بعلوم الرياضة والفلك والطبيعة والعروض، فقد اتفق أن وقعت يد الشيخ على طرف من الثقافة العصرية وهو في بدء شبابه فتذوقها وحاول أن يشق طريقا إلى هذا اللون الجديد من الثقافة واتفق مع آخرين ممن كانوا يتذوقون هذا اللون الجديد من الثقافة على أن يراسلوا بعض المجلات العلمية كالمقتطف وبعض دور النشر لتبعث إليهم هذه الصحف والكتب التي تحمل إليهم هذا اللون الجديد من الفكر.

أما آثاره العلمية: فكان النشاط العلمي والكتابة والتأليف يشكل جزءا مهما من رسالة الشيخ محمد رضا المظفر ونشاطه، وفي كتاباته يقترن جمال التعبير وسلامة الأداء وحدة الصوغ وروعة العرض بخصوبة المادة ودقة الفكرة وعمق النظرة وجدة المحتوى، ويتألف منها مزيج من العلم والأدب يشع العقل ويروي العاطفة وقد توفق الشيخ إلى أن يضم إلى عمق المادة جمال العرض وأكثر ما يبدو وهذا التوفيق في كتابه (احلام اليقظة) حيث يناجي فيها صدر المتالهين ويتحدث معه فيما يتعلق بنظرياته في الفلسفة الإلهية العالية ويتلقى منه الجواب بصورة مشروحة وبعرض قصصي جميل، وقد حاول أن يخضع الكتابة للفلسفة أو يخضع الفلسفة للكتابة ويجمع بينهما في كتابه هذا وكذلك كتابه (المنطق) و(عقائد الإمامية) و(الأصول) و(الفلسفة) و(السقيفة) والى غيرها من المقالات ونظم الشعر..

وله في مجال التقريب الأبحاث والمناظرات نذكر مقتطفات منها بقلمه:

ومن ثم اضطررت بحكم ميلي الشديد إلى طلب الحقيقة حيث كانت والحكمة حيث وجدت، والحكمة ضالة المؤمن، أن أدير دفّة دراستي العلميّة لمذهب الأئمة الإثني عشر إلى الناحية الأخرى، تلك هي دراسة هذا المذهب في كتب أربابه وان أتعرف عقائد القوم مما كتبه شيوخهم والباحثون المحققون من علمائهم وجهابذتهم، ومن البديهي انّ رجال المذهب اشد معرفة لمذهبهم من معرفة الخصوم به مهما بلغ أولئك الخصوم من الفصاحة والبلاغة، أو أوتوا حظا من اللسن والإبانة عما في النفس.

وفضلا عن ذلك فإن «الأمانة العلمية» التي هي من أوائل أسس «المنهج العلمي الحديث»وهو المنهج الذي اخترته وجعلته دستوري في أبحاثي ومؤلفاتي حين أحاول الكشف عن الحقائق الماديّة والروحيّة.

هذه الأمانة المذكورة تقتضي التثبت التام في نقل النصوص والدراسة الفاحصة لها. فكيف لباحث بالغا ما بلغ من المهارة المتعلقة بالشيعة والتشيع في غير مصادرهم.. إذن لارتاب في بحثه العلمي وكان بحثه على غير أساس متين، ذلك ما دعاني أن أوسع في دراسة الشيعة في كتب الشيعة أنفسهم وأن اتعرف عقائد القوم نقلا عما كتبوه بأيديهم وانطلقت به السنتهم لا زيادة ولا نقص، حتّى لا أقع في الالتباس الذي وقع فيه غيري من المؤرخين والنقاد حين تصدروا للحكم على الشيعة والتشيع.

وإن الباحث الذي يريد أن يدرس مجموعة ما من الحقائق في غير مصادرها الأولى ومظانها الأصلية إنّما يسلك شططا ويفعل عبثا، ليس هو من العلم ولا من العلم في شيء. ومثل هذا ما وقع فيه العلامة (الدكتور أحمد أمين) حين تعرض لمذهب الشيعة في كتبه. فقد حاول هذا العالم أن يجلي للمثقفين بعضا من جوانب ذلك المذهب فورط نفسه في كثير من المباحث الشيعية كقوله «أن اليهودية ظهرت في التشيع»وقوله: «أن النار محرمة على الشيعي إلاّ قليلا» وقوله: «بتبعيتهم لعبد الله بن سبأ.»وغير هذا من المباحث التي ثبت بطلانها وبراءة الشيعة منها، وتصدى لها علماؤهم بالنقد والتجريح وفصّل الحديث فيها العلامة محمد حسين آل كاشف الغطاء في كتابه «أصل الشيعة وأصولها».

وإني لواثق بأن فكرة التقريب بين المذاهب أصبحت اليوم حاجة ملحة وهدفا رفيعا لكل مسلم غيور على الإسلام مهما كانت نزعته المذهبية ورأيه في المخلفات العقائدية، وليس شيء افضل في التقريب من تولي أهل كل عقيدة أنفسهم كشف دفائنها وحقائقها وهذه الطريقة فيما اعتقد أسلم في إعطاء الفكرة الصحيحة عن المذهب وأقرب إلى فهم الصواب من الرأي الذي يعتنقه جماعته.

ولا يجهل خبير مقدار الحاجة اليوم خاصة إلى التقريب بين جماعات المسلمين المختلفة ودفن أحقادهم إن لم نستطع أن نوحد صفوفهم، وجمعهم تحت راية واحدة أقول ذلك وإني لشاعر مع الأسف أنّا لا نستطيع أن نضع شيئا بهذه المحاولات مع من جربنا من هؤلاء الكتاب كالدكتور أحمد أمين وإضرابه من دعاة التفرقة فما زادهم توضيح معتقدات الإمامية إلاّ عنادا وتنبههم على خطاهم إلاّ لجاجا، وما يهمنا من هؤلاء وغير هؤلاء أن يستمروا على عنادهم مصرين لولا خشية أن ينخدع بهم المغفلون فتنطلي عليهم تلك التخرصات وتورطهم تلك التهجمات في إثارة الأحقاد والحزازات.

أن من اعظم واجمل ما دعا إليه الدين الإسلامي هو التآخي بين المسلمين على اختلاف طبقاتهم ومراتبهم ومنازلهم. بلى إن المسلمين لو وقفوا لإدراك ايسر خصال الاخوة فيما بينهم وعلموا بها لارتفع الظلم والعدوان من الأرض، ولرأيت البشر إخوانا على سرر متقابلين قد كملت لهم أعلى درجات السعادة الاجتماعية، ولتحقق حلم الفلاسفة الأقدمين في المدينة الفاضلة، فما احتاجوا حينما يتبادلون الحب والمودة إلى الحومات والمحاكم ولا إلى الشرطة والسجون، ولا إلى قانون للعقوبات، وأحكام للحدود والقصاص، ولما خضعوا لمستعمر ولا خنعوا لجبار، ولا استبد بهم الطغاة ولتبدلت الأرض غير الأرض وأصبحت جنة النعيم ودار السعادة.

عن موقع
(التقريب بين الديانات في لندن)

عراقيون
من زمن التوهج

ملحق أسبوعي يصدر عن مؤسسة المدى للإعلام والثقافة والفنون

رئيس مجلس الإدارة رئيس التحرير

فخري كريم

رئيس التحرير التنفيذي
علـي حسـين



الاخراج الفني: خالد خضير

طبعت بمطابع مؤسسة
المدى
للإعلام والثقافة والفنون

WWW. almadasupplements.com

جمعية منتدى النشر واثرها في الاصلاح التعليمي في العراق



أ.د. نجاح هادي كبة



صورة قديمة تظهر فيها جنازة الشيخ محمد رضا المظفر (١٦ رمضان ١٣٨٣هـ) يحيط بها جمهرة من الاعلام منهم: الشيخ أحمد الوائلي، السيد محمد رضا الحكيم، الشيخ محمد جواد آل راضي، السيد سعيد الحكيم، السيد ميرزا حسن البجنوردي، السيد موسى بحر العلوم، والشيخ محمد تقي الايرواني

١-تأسيس جمعية منتدى النشر:

قدم سبعة من الشباب الروحانيين في ١٥ كانون الثاني ١٩٣٥م بياناً الى وزارة الداخلية وهم الشيخ عبد الهادي حموزي والشيخ محمد جواد القسام والشيخ محمد رضا المظفر ... الخ كهيأة مؤسسة يطلبون تأسيس جمعية دينية بالنجف الاشرف باسم (منتدى النشر) ببيان مرفق مع النظام الاساس وكان يساعد هذا العمل كل من الشيخ عبد الحسين الحلي والشيخ عبد الحسين الرشتي، وبعد مدة قصيرة وافقت الوزارة على اجازة فتح جمعية باسم (منتدى النشر) في الكتاب المرقم (٩٠٧٧) والمؤرخ في (٨) أيار العام ١٩٣٥م وبإمضاء رشيد عالي الكيلاني وزير الداخلية انذاك وبهذا انضم الى الجمعية عدد من الوسط النجفي واختير الشيخ محمد جواد الحجامي رئيساً للجمعية لأنه اكبرهم سناً ثم تشكلت اول هيأة في ٣٠ ايار العام ١٩٣٥م لأول مرة كهيأة عامة لغرض انتخاب مجلس ادارة .. وعدت الجمعية على النحو الاتي:

× الشيخ محمد جواد الحجامي، عميداً، رئيس الجمعية
× الشيخ محمد رضا المظفر سكرتيراً، الكاتب العام

وخمسة اعضاء منهم يوسف الحكيم والسيد هادي فياض وكان السيد محسن الحكيم (قدس سره) من الداعين الى نجاح الجمعية ومدارسها باسنادها مادياً ومعنوياً وبالاساتذة . (ملاحق جريدة المدى، ذاكرة عراقية في ٢٥ /٨/ ٢٠١٣م).

كانت بداية اعمال الجمعية هو التفكير في التأليف والطبع والنشر لذلك تأسست فيها (لجنة المجمع الثقافي) الذي اهتم باختيارات التأليف والنشر واصبحت جمعية منتدى النشر تدعى بكلية منتد النشر حين قرر اعضاؤها ان تكون مؤسسة تعليمية لتخريج الشباب الطامح للدراسة فيها، ولتكون نواة للدراسة الدينية الحديثة فطورت الدراسة الحوزوية وان كانت الحلقات الحوزوية تمدها بالأساتذة ذلك لان الدراسة الحوزوية تجري بأسلوب على غرار ما يجري التدريس قديماً مدرستي الكوفة والبصرة ولم يضبط الطالب الحوزوي بمواصفات الكليات او المدارس الحديثة، فحاولت كلية منتدى النشر ان تكون نواة لتحسين الدراسة الحوزوية وقد نجحت في ذلك حين ادخلت علوم المنطق والفقه والاصول وغيرها مع علم الاجتماع وعلم النفس وغيرهما وقد انبثقت عن كلية منتدى النشر فيما بعد كلية الفقه التي حاضر فيها رجال من الحوزة الدينية في النجف الى جانب اساتذة اكاديميين من جامعة بغداد، وقد زودت كلية الفقه المدارس الرسمية بالمدرسين انذاك من ذوي الكفاية الى جانب من اعدتهم لإكمال دارسة الخارج في الحوزة العلمية والحصول على درجة الاجتهاد.

٢-اهداف جمعية منتدى النشر:

١-تنظيم الدراسة الدينية لثلاثة اغراض هي:
أ-تقصير مدة الدراسة لتقريب الطالب الديني الى الغاية الكبرى.
ب-اعطاء المتخرج من المعاهد الدينية افقاً اوسع من المعلومات التي تقتضيها ضرورة هذه العصور.
ت- تهيئة المتخرج كاتباً وخطيباً ليستطيع ان يبلغ رسالة الدين.
٢- تنظيم حياة رجال الدين ورفع مستوى حياتهم الاقتصادية، لغرض الانصراف الى تحصل العلم والدعوة الى الدين وبقاء عزهم فيه.
٣- رفع مركز المستوى العلمي والديني للنجف الاشرف والمحافظة على مالها من مرجعية دينية عالمية في الرجوع الى التقليد.
٤- نشر الثقافة الدينية العامة والدعاية الى الاخلاق الاسلامية الصحيحة.
٥-رفع المستوى الاخلاقي بين طلاب العلوم الدينية والدعوة الى العدالة الصادقة.
٦- نشر اللغة العربية الفصحى وآدابها وتعميم التكلم بها.
٧- نشر الكتب النافعة وطبعها طبعاً سليماً نافعاً.
٨- تشجيع التأليف والمؤلفين(من اوراق الشيخ محمد رضا المظفر ١٩٠٤-١٩٦٩م) جمع وتحقيق محمد رضا القاموسي ، ص ١٥٤)

٣-اثر الشيخ محمد رض المظفر في الاصلاح التعليمي:

كان للشيخ محمد رضا المظفر دور في توسيع مدارس جمعية منتدى النشر اذ فتحت فروع لها في النجف والحلة وكربلاء والكاظمية(وقد حرص المظفر على الجمع بين الدراسة الحوزوية والحديثة الجامعية ومحاولة التزاوج بينهما لوضع الاساس الرصين للنهضة العلمية والادبية في النجف وفي العراق عموماً، وقد وصفت منتدى النشر بانها ازهر العراق وقام الشيخ مظفر فضلاً على وعلى هذا الصعيد الاسلامي بحضور المؤتمرات والمحافل العالمية في باكستان والمغرب ومصر فضلاً على نشاطه المحلي في التأليف والنشر والتدريس واقامة الاحتفالات الاسلامية لقد اسهم الشيخ المظفر – رحمه الله – في تطوير المدرسة النجفية وفي الحركة الاصلاحية في العراق في القرن الرابع عشر الهجري ما جعله يكون علماً من اعلام دعاة الاصلاح والتطوير)(مجلة آفاق نجفية ع: ١١، س: ٢٠٠٨، ص: ٣٢). ولابد من الاشارة الى ان للمظفر كتباً عديدة منها عقائد الامامية والمنطق واصول الفقه وقال د. حامد حنفي عن كتابه عقائد الامامية: (ما كدت اتصفح هذا السفر حتى ملك اعجابي للذي جمعه فيه مؤلفه من العرض الدقيق لعقائد الامامية فهو يعد مصدراً جامعاً مانعاً باطراف الموضوع من نواحيه جميعها (جمعية منتدى النشر واثرها الفكري والسياسي على الحركة الاسلامية في العراق ١٩٣٥-١٩٦٤م)سعد عبد الواحد عبد الخضر ص:١٢٢-١٢٤).

وقد قررت كتب المظفر للدراسة منها كتابة الشهير (المنطق) واصول الفقه (لقد اراد المظفر ان يحيا روح عصره الذي عنى له تجديد مناهج التعليم والافادة من معطيات المعرفة الانسانية المتجددة والمتواصلة هذه هي المعاصرة في مفهوم محمد رضا المظفر التي سعى اليها جاداً في مشاريعه عامة المشاريع التي تجاوز فيها الانغلاق التقليدي وسلبيت الجمود التي كررها في نعت بعض من اختلف معه).

(محمد رضا المظفر هو العنوان، السيد عمار ابو رغيف ص ٢٤)

٤-دور بيئة النجف في الاصلاح:

لابد من الاشارة الى ان النجف كانت على اتصال مع العالم الخارجي فقد سكنها المفكر جمال الدين الافغاني وكانت تجمعه مع السيد محمد سعيد الحبوبي حلقة دراسة واحدة والافغاني هو الذي بذر بذور الحرية في النجف في الصراع بين المشروطية والمستبدة وهو الذي طالب بإدخال درس الفلسفة في الدراسة الحوزوية في حين كان الشعار السائد من تفلسف فقد تزندق وكانت الصحف منتشرة في النجف قبل الاحتلال الانكليزي كالعلم والغري فضلاً على دخول التلغراف وخطوط النقل (ترامواي – حديد) في مطلع القرن التاسع عشر الميلادي فضلاً على وجود الحوزة العلمية ووفود الطلبة المسلمين الى النجف للدراسة فيها من دول العالم الاسلامي المختلفة كالهند وباكستان واندونيسيا وغيرها من الدول الاسلامية كل ذلك ساعد على تفتح العقل العراقي في النجف وكانت جمعية منتدى النشر احدى ثمرات الاتصال الخارجي والداخلي للنجف لذلك قادت النجف الحركة الجهادية العام ١٩١٤م بدافع الوحدة الاسلامية ضد الانكليز بقيادة المجاهد محمد سعيد الحبوبي وما الى ذلك من دور للنجف في التاريخ الاسلامي والعراقي.

